الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)

سورة البقرة

■ قضية التفسير الجديد للقرآن

للدكتور محسن عبد الحميد

■ أمـــراض الصحوة الإسلامية

للأستاذ محيي الدين عطية

■ وقفات مع محمد أركون

للأستاذ محمد بريش

■ حوار مع الأستاذ إدريس الكتاني حول إنحراف الأحداث

■ عرض كتاب "في النقد الذاتي"

ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية

الهدى

السنة الرابعة

العدد 13

جمادى الأولى 1406

يناير - فبراير 1986

الثمن : 5 دراهم

Al HOUDA

المحتويات

الاشتراكات
عن عشرة أعداد

- في دول المغرب العربي :
  - العادي : 50 درهما.
  - للمؤسسات : 100 درهم.
  - التشجيعي : 200 درهم.
- في الأقطار الأخرى :
  - العادي : 12 دولارا أمريكيا.
  - التشجيعي : 24 دولارا أمريكيا.

يرسل الاشتراك بإسم مدير المجلة على شكل حوالة بإسم مدير المجلة على عنوان المجلة أو إلى الحساب البريدي P 67 . 22 ـ الرباط

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

المقالات التي لم تنشر لا ترد إلى أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدى

إسلامية جامعة تصدرها جمعية
جماعة الدعوة الاسلامية بفاس

المدير المسؤول: المفضل فلواتي

العنوان: حي عز الله - زنقة ٢
رقم ١ - شارع الموحدين - فاس

العدد الثالث عشر
جمادى الأولى 1406
يناير - فبراير 1986

الثمن: 5 دراهم

رقم الإيداع القانوني : 26-1982

مطبعة الصومعة
10 ، زنقة بكين (حي المحيط) - الرباط
الهاتف : 91-207-67-314

كلمة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

خطوة أخرى تخطوها (الهدى) بصدور عددها الثالث عشر. ولا شك أن قراء المجلة قد استبطأوا صدور هذا العدد، كما هو الشأن في غير واحد من الأعداد السابقة. والأعذار لا تخفى على أحد. ولكننا لا نعذر أنفسنا فيما هو بإمكاننا. وهو تحري النهج القويم، والمحتوى السليم، ومحاولة التوسع في هذا وذاك. مما يسهم بدوره في قدر آخر من التأخر في صدور الأعداد.

وفي هذا العدد تواصل المجلة سعيها في ترشيد وتدعيم مسيرة الدعوة الاسلامية المباركة، وبهذا الصدد ننشر مقالة مختارة عن أمراض الصحوة الاسلامية، وتقديم كتاب عن النقد الذاتي للحركة الاسلامية. دون أن يعني نشرنا لهما أننا نتبنى تبنيا تاما ما جاء فيهما. ولكننا نتقبل، وندعو لتقبل، ما فيهما من حق وصواب، ونقدر، وندعو لتقدير ما فيهما من وجهة نظر، فضلا عما وراءهما من قصد النصيحة والاصلاح. ومع هذا فكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا الوحي، فهو وحده الحق المطلق.

كما أننا نواصل محاولتنا لتوعية المسلمين وتبصيرهم بما حولهم من أفكار وأوضاع، حتى يكونوا عينا إلى الداخل وعينا إلى الخارج، لا يهملون ما بأنفسهم ولا يغفلون ما يحيط بهم. وفي سبيل هذا نقدم مقال الدكتور محسن عبد الحميد حول قضية التفسير الجديد، أو القراءات الجديدة، للقرآن الكريم، التي يتنادى بها ناس هنا وهناك. وقريبا من هذا الموضوع، يشرع الأستاذ محمد بريش في نشر بحثه حول أركون وغيره من أصحاب القراءات الخاصة للتراث العربي الاسلامي. وفي هذا الاطار أيضا نقدم حواراً مع الأستاذ إدريس الكتاني حول بعض الظواهر المرضية في مجتمعنا، وبصفة خاصة حول أطفاله وشبابه (انحراف الأحداث).

ويلاحظ القارىء من خلال هذا التقديم السريع أن العدد الجديد قد احتوى على ركن جديد هو ركن الحوار. وهو لبنة جديدة سنحرص على الاستفادة منها، حرصنا على كل تطوير مفيد، وكل ذلك مرهون بإمكانات المجلة المحدودة، وبمدى مساندة ودعم قرائها والمؤمنين بدورها.

* ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. *

الهدى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الافتتاحية

مستعجلات الإنقاذ

أشد ما ابتليت به الأمة الاسلامية في هذا العصر هو الغزو الفكري، والاستعمار الثقافي بجميع أشكاله وألوانه، لأن الاستعمار التقليدي كان مكشوفا للعيان بجميع أهدافه ومخططاته وأجهزته، ولذلك كانت خلايا وأنسجة جسم الأمة الإسلامية تتجمع لرفضه، وتتعاون لمقاومته وطرده، أما الإستعمار الثقافي فإنه تسلل إلى الجسم تسلل السرطان الذي لا تظهر أعراضه إلا بعد أن يكون قد أصاب الذات بالشلل، وجعلها عاجزة عن مقاومته، ودرء أخطاره الحاضرة والمستقبلة، بدون الإقدام على عملية جراحية موفقة لاستئصال جرثومته.

ولم تكن الإصابة بمرض الغزو الفكري صدفة، أو هبة من القدر على غير إرادة منا ومن الخصوم، ولكنها كانت عن ثقة ساذجة في الذين اختاروا لنا عن علم ودراية، وقبلنا نحن عن جهل وغباوة، معتقدين أن اللهاث وراء الركب الغربي هو الخيار الوحيد المنهض، وأنه السبيل الوحيد لاستعادة ما لنا من رصيد حضاري تاريخي.

وكان الاستعمار الجديد منطقيا مع نفسه، إذ اختار التسلل إلى العمق، وسلك سبيل النسف من الداخل، لأنه استفاد أيما استفادة من دروس المواجهة المسلحة مع المسلمين على امتداد التاريخ الاسلامي، فلم يعد كل ذلك عليه بطائل، ولم يمكنه من تحقيق هدفه الكبير، وهو سلخ المسلمين وعزلهم عن دينهم ليبقوا فريسة سهلة لنهبه وأطماعه التوسعية. حيث كانت المواجهة المسلحة لا تزيد الجسم الإسلامي إلا متانة وصلابة وشدة احتراس، ففضل الدخول من الباب الخلفية لسرقة ما تبقى في الأمة الإسلامية من يقظة ووعي بمخاطره ومقاصده ابتغاء الإجهاز عليها، ولكن هذه المرة بأيدي أبنائها من لحمها ودمها، وتربتها وهوائها.

وسار في هذا الاتجاه على عدة محاور:

- إرسال البعثات إلى عواصم الغرب ومؤسساته التعليمية والتربوية لإخراج جيل من القادة والزعماء لا يؤمن بدين، ولا يتقيد بخلق، ولا تسمو همته إلى مثل غير المثل التي نصبتها الحضارة الغربية أصناما له وأوثانا، ليكونوا جسور التواصل الاستعماري الجديد، وقنوات التحاور والتجاوب معه.

- تأسيس المدارس الأجنبية بالبلاد الإسلامية على شكل مؤسسات تعليمية وتربوية مستقلة في اتجاهاتها وبرامجها وإدارتها عن سلطة البلد والذي توجد فيه، لإنشاء جيل غربي مائة في المائة، تلقى على عاتقه في المستقبل أمانة النقل الحضاري الغربي، وتناط به مهمة تمزيق الوحدة الوطنية، ومسؤولية الضرب بيده، والبطش بحقده، والتفكير بمناهجه، والابصار بعيونه...

- استقدام الجيوش الجرارة من أساطين الاستشراق والتبشير، وحملة الغزو الفكري إلى مختلف مؤسسات البلاد ليحاضروا ويشرفوا على عملية تفريغ «المغرّبين المستلبين» ويرعوا الخلف الهجين، فاتحين أمامه آفاق التطلعات

الفردية، وفاسحين أمامه مجالات الإبداع في تهديم الحصون التي استعصى على المستعمر التقليدي هدمها، ليكون هذا الخلف - بعد غسل «المخ» والتجهيل بالإسلام، وافقاده كل حمية أو غيرة على دينه - طليعة غزو وتخريب، وقهر وترويض للشعوب الاسلامية، كي تتقبل في المستقبل القريب والبعيد، الإذلال والخضوع للسيادة والحضارة الغربيتين، وتتقبل - بدون امتعاض - احتكار الرجل الغربي للثروة والقوة العلمية والصناعية والعسكرية، وتسلم له بـ «الامامة الفكرية» ونظرية «التفوق العرقي» غير المتنازع فيه.

- التسلل إلى المؤسسات التعليمية والتربوية بالبلاد الإسلامية لعلمنتها، وذلك بترويج الأفكار المسمومة داخلها وتلقينها للناشئة والشباب العزل من كل أسلحة الدفاع والمقاومة، وبإخراج كل ما يتصل بمقومات الأمة الأساسية من دين، وتاريخ، وأدب، وأخلاق وقيم وعادات ومقدسات، من مقرراتها وبرامجها، وبالايحاء إلى الأوصياء من الخلف «المغرَّب» المشرف على التخطيط والتوجيه، بأن يعملوا على تجنب الخطر الداهم القادم من الإسلام، وكل ماله به صلة من قريب أو بعيد، ليثمر هذا التعليم النتائج التي عبر عنها أحد مديري الجامعة الأمريكية سابقا - راطسون - حيث قال: «إن الطالب الذي يتركنا يمكن أن يعتبر نفسه مسلما غير أنه في هذه الحالة يكون شخصا غير الذي جاءنا». ص 384 من الاسلام ومشكلات السياسة بتصرف -

- الدفع بعناصر تشربت روح الغرب إلى ارتقاء المنابر الإعلامية، لإيهام المخدوعين - بطرق مستورة أو مكشوفة - أن الاسلام هو سبب تأخر المسلمين، وحجتهم في ذلك الإفتراء والبهتان، واقع المسلمين المتردي، لا نصوص الإسلام الصحيحة، وذلك لاستجاشة مشاعر المسلمين، وحفز هممهم لنبذ الإسلام بغية اللحاق بالركب المتقدم، وهي دعوة أفنى فيها بعض المستشرقين أعمارهم لغرسها في النفوس، وترسيخها في الأذهان كي تصبح حقيقة لا تقبل الشك أو الجدال، يؤازرهم في هذه الدعوى ما ينتشر في البلاد الإسلامية من انحرافات وبدع وخرافات مشوهة لجمال الإسلام، ونقاء عقيدته وشريعته. أما أن يكون سبب التخلف، وعلة العلل في الانحدار الحضاري هو ابتعاد المسلمين عن دينهم، وعدم تقيدهم بمبادئه ومناهجه، فهذا ما يدفع به دفعا إلى الظل القاتم، حتى يبقى الإسلام والتخلف توأمين متلازمين، وبالتالي يكون الإسلام عنصر تنفير للطبقة المتنورة بفكر الغرب تربأ بنفسها أن تنزل إلى حضيضه.

- تلميع بعض الرموز الفكرية في العالم الاسلامي، وتهييء السبل لها لتبوئها الكراسي العلمية ذات التأثير المباشر على توجهات الشباب وتطلعاتهم لكي يمارسوا من هناك عملية الإفراغ من آثار التوجيه الديني الصحيح بعقلية القادمين من أرض عبقر، ومسوح الملهمين الذين انتهت إليهم الرئاسة في العلم الصحيح المعصوم من الخطإ، والمجرد عن الهوى والزيغ والانحراف، فقولهم هو القول الفصل، وفهمهم هو الفهم الصائب، وحكمهم هو الحكم النزيه، أما قول غيرهم فهراء في هراء، وأما فهم غيرهم فتخريف في تخريف، وأما حكم غيرهم فضلال في ضلال.

وهجمت هذه الرموز الفكرية على الاسلام هجمات شرسة بنصوصه، ولغته، وتشريعه، وتاريخه، وتراثه، لترسيخ ما انتهى منه المناوئون للإسلام من مبشرين ومستشرقين حاقدين، أو لإتمام ما بدأوه من أشواط التشكيك والتحريف والتشويه منذ مئات السنين، لأن الله عصم الشعوب الإسلامية من الاطلاع - بفضله ورحمته - على ما قيل وكتب فبقيت محفوظة في دينها وعقيدتها وخلقها وسلوكها، ولكن هؤلاء «شرفهم إليه» بنقل هذه الجراثيم الفتاكة إلى جسم الأمة الاسلامية في جو من النفخ والتهليل والتسبيح بحمد هؤلاء الفاتحين بسيوف الاستعمار الثقافي الصدئة.

ولكن العالم الإسلامي قد بدأ يصحو ويترنح تحت ضربات:

ـ الإهانة التي لايستطيع معها الماسكون بمقاليده حتى لعن اليد التي تنزل على رأسه بالعصى الغلاظ بصوت جهوري مسموع، فما بالك برد الاهانة، والثأر للشرف، والغضب للحق.

ـالتسلط على خيرات وثروات الشعوب الإسلامية، ونهبها لتهديدها بالتجويع والانهيار الإقتصادي كلما رامت إنقاذ نفسها بالإحتماء بدينها، والإعتصام بشريعتها.

وعما قريب سيزول الانبهار، ويشب العالم الإسلامي عن الطوق، ويتلفت خلفه وعن يمينه ويساره، فلا يجد ملاذا له إلا الإسلام بنقاء معتقداته، وعدل شريعته، التي يتعب المناوئون أنفسهم في تزييف حقائقها وتشويه طهرها بدون جدوى، فالشعوب الإسلامية لا يمكن أن تقاد إلا بعدل الإسلام، ولا يمكن أن تجد نفسها وتشعر بطعم الحياة ولذتها إلا بين منابعه الثرة، وسوف تورق شجرة الإسلام من جديد، ولن تكون المحن والتعسفات الموضوعة في الطريق إلا ريًّا لها وسمادا.

إلا أن الأمر يتطلب دراسة شاملة لمختلف التحديات، واتخاذ خطوات علمية للتعجيل بعملية الإنقاذ والنهوض، قبل استفحال الخطر، وتفاقم الخطب، ولعله يأتي على رأس المستعجلات:

1) فك الحصار المضروب على الإسلام ليأخذ طريقه إلى المدارس والثانويات، والمعاهد والجامعات، والمحاكم والمجالس الحكومية والبرلمانية، والشوارع والمتاجر والإعلام، بصفته شريعة حاكمة، وقائدة، ومنظمة ومعبئة منهضة، ومجددة متطورة في إطار المتغيرات.

2) فك الحصار المضروب على العلماء الدعاة إلى الله بصدق واخلاص، وحب عميق لبلدانهم، ليكشفوا الزيف والدس، ويفضحوا بؤر الفساد وأماكن العبث، وينيروا الطرق أمام الحائرين، فالعلماء الدعاة هم ملح الأمة وأمصال الوقاية.

3) إيجاد صيغة للتقارب بين البلدان الاسلامية شعوبا ودولا وحكومات، على صعيد النظم والتشريع والتوجيهات الربانية حتى يوقف النزيف الذي يكاد يوقف شريان الحياة في مختلف جوانب الحياة، بشرط ألا يكون التقارب على حساب الإسلام الذي يحلو للبعض أن يجعله دائما كبش الفداء في كل تقارب، وإلا كان هذا التقارب مشبوها، ولن يكتب له النجاح، لأن الله عز وجل لا يباركه، وسوف لا يعود على العالم الاسلامي إلا بالخسار والبوار فقد ان الأوان لتجاوز رواسب العداء المستحكم بين الولاة والدعاة، وحان الوقت لتبصر الأولين، ورشد الأخيرين حتى يتعاون الجميع على بناء أمة ينتظر العالم كله منها أن تقود وتسود بالعدل والقسط.

4) وضع استراتيجية مدروسة بعناية وثقة وأناة للخروج بالعالم الإسلامي من واقعه المتخلف، والقفز به إلى النور، وذلك بالعمل على بناء القوة الذاتية للأمة الإسلامية، علميا وصناعيا واقتصاديا بعيدا عن نظريات المتربصين وتخطيطاتهم.

5) إيجاد المؤسسات العلمية الكفيلة بوضع البدائل لجميع أنواع المؤسسات، ومختلف النظم المؤسسة على قواعد غير إسلامية، لتنطلق باحثة مجتهدة، تؤصل قواعد السياسة، وترسي أصول الحكم والإقتصاد وغيرها، حتى لا يبقى العالم الإسلامي عالة على غيره في كل شيء.

هذه فقط بعض المستعجلات لوضع القدم على الطريق لمتابعة السير الطويل الجاد الموزون في القضاء على عوامل الضعف التي غمرتنا بسبب ابتعادنا عن الإسلام، وجعلتنا فريسة سهلة لكل متطاول علينا وإن لم نفعل ذلك وأكثر من ذلك فلنستعد للذبح الحضاري الذي بدأت سكاكينه ـ المشحوذة من زمان ـ توضع على الأعناق والرقاب، ولنهيء أنفسنا للعيش طول حياتنا راكعين، بدل أن نموت واقفين «انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا» الكهف ـ 20.

مع كتاب الله عز وجل

حول قضية التفسير الجديد للقرآن الكريم

الدكتور محسن عبد الحميد

لا ريب أن حاجة المسلمين إلى تفسير القرآن الكريم كان أمرا بديهيا، منذ نزوله على قلب رسول الله ﷺ، لأنه دستور وكليات وقواعد عامة ومقاصد ظاهرة وخفية. ولأنه نزل بخطاب عربي مبين، له خصائصه وتراكيبه وألفاظه القطعية أو الظنية الدلالة. ولأنه من جهة أخرى قد ترك مساحة كبيرة فيه لحركة العقل الانساني واستنبطاته المتنوعة لجزئيات المسائل المتجددة عبر العصور، كي تتحقق مصالح العباد في كل عصر على الوجه الأكمل، على أساس أنه لا وحي بعد رسول الله ﷺ ولا كتاب.

ولقد كان المسلمون يلجأون في زمن رسول الله، إليه عليه الصلاة والسلام، كلما أشكل عليهم أمر أو توقفوا في مسألة. فكان رسول الله يبين لهم مجمل القرآن ويخصص عامه ويقيد مطلقه، ويشرح لهم ما يكون قد خفى عليهم من نكته البلاغية. ولا شك أنه عليه السلام لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا وقد بين لهم كلما يحتاجون إليه من مسائل الحلال والحرام. أما غير ذلك من أسرار الاعجاز القرآني، وحكمة أحكامه، وتفاصيل تشريعاته وآياته الكونية وقواعده الاجتماعية واستنباط مسائل الحياة الجزئية، فقد تركها لحركة العقل الانساني عبر العصور. يكتشف مجاهيلها ويعرض تفاصيلها ويدرك مقاصدها، على ضوء متغيرات العصر وتطور الحضارة وتقدم الانسان.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف الحضاري لأداء دور الخلافة الكامل على الأرض دون ايقاف حركة الزمن، شرع الاجتهاد العقلي الذي ظهر منذ زمنه ﷺ، وتوسع كثيرا بعد انقطاع الوحي لا سيما عقب دخول أقوام كثيرة إلى الاسلام محتفظة ببعض عاداتها وتقاليدها وانماط حياتها الاجتماعية التي لم تكن تصطدم في جوانب منها مع مرونة الاسلام وضوابط مواجهته لأسس وتفصيلات الحياة البشرية المتطورة.

وبمجيء القرن الثاني الهجري واجه المجتمع الاسلامي تيارات فكرية متنوعة وتغيرات اجتماعية واسعة، ظهرت بعد الاختلاط الحضاري بينه وبين المجتمعات الحضارية الأخرى التى انتقلت علومها وفلسفاتها إلى المجتمع الاسلامي. وكانت محاولة علماء الاسلام طبيعية وواقعية للاستفادة منها لفهم قضايا كثيرة في القرآن الكريم تتصل بصراعات ذلك العصر واكتشاف أسرار الشريعة الاسلامية وبناء العقائد الاسلامية فيه على المرتكزات العقلية وتقديم مشروع علمي أصولي سديد لدفع التعارض بين العقل والنقل بناء على منهج استقرائي دقيق، بحيث قرروا أن القطعي العقلي لا يتعارض مع القطعي النقلي، لأنهما صادران من الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يتعارضا.

أما إذا كان الدليل العقلي قطعيا والدليل النقلي

ظنيا، يؤول الظني بجانب القطعي لظنية دلالة ألفاظ العموم.

وأما إذا كان العقل والنقل ظنيين فلا يؤول النقل بجانب العقل إلى أن يثبت نفسه أو يبطل، فإذا ثبت العقل أول النقلي بجانب العقلي (1).

كان من نتائج التغير الكبير في العصر العباسي ظهور التفاسير التي كانت تعبر عنه أجل تعبير في جوانبه الايجابية والسلبية.

أما الجوانب الايجابية، فلقد تركزت في الاستفادة القصوى من معارف الكون المتطور (العالم) لاكتشاف أسرار الكون المقروء (القرآن الكريم) وبذلك كان المسلمون منفتحين على تغيرات الحياة، مستوعبين لقضاياها عالمين بضرورة قراءة القرآن في ضوء تطور الحياة وتغير الظروف، وبذلك أثبتوا خلوده وعدم ايقافه لحركة الحضارة عند زمن بعينه.

وأما الجوانب السلبية فقد تمثلت في خروج قوم من المفسرين بالآيات القرآنية إلى ما لا يقبله العقل القديم والصحيح المنقول عن رسول الله ﷺ واجماع صحابته وتابعيهم، ويرفضه المنطق اللغوي في أساليب البيان العربي. وبذلك أخضعوا القرآن إلى المصطلحات الحادثة في حياة الأمة، والتي تولدت من التطورات الفكرية التي تمثلت في تيارات عدة، منها التيار الفلسفي التوفيقي بين القرآن الكريم والفكر اليوناني الوثني الأصول كما في تفسير ابن سينا (2).

ومنها التيار الصوفي الفلسفي الذي حكم نظرياته في الوحدة والحلول في تغير الآيات فأبعدتها عن النسق القرآني.

ومنها تيار التشيع الذي تطرف في تأويل الآيات القرآنية على أصول مذهبه بصرامة فائقة، وخروج واضح على ضوابط التفسير.

ومنها تيار الخوارج الذين نظروا إلى ظاهر النصوص ولم يتعمقوا في فهم معاني القرآن الكريم ولم يلتمسوا الحكم والاسرار وراءها.

وإذا كانت تلك الانحرافات في التفسير لم تخرج أصحابها من دائرة الاسلام العامة الواسعة، فإن انحرافا آخر أخطر قد ظهر إلى الوجود وهو الانحراف الباطني الذي أدخل تفسير القرآن في متاهات وضلالات قطعت الصلة بينه وبين الضوابط اللغوية والأصولية والعقلية التي اجمع عليها المسلمون عبر التاريخ كله وأدى بهم في النهاية إلى الخروج النهائي من الاسلام (1).

ولم يضف شيء مهم على تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة التي تلت سقوط بغداد عام (656هـ) لأنها كانت قرون المحافظة على القديم من الضياع ولم تكن قرون الابداع، فلم ينتقل المجتمع الاسلامي من مرحلة حضارية أخرى إلا في مشارف العصر الحديث الذي ظهر فيه المنهج الجديد في تفسير القرآن الكريم والذي عرض أسسه وملامحه السيد جمال الدين الأفغاني (ت 1897م) نتيجة للأوضاع السيئة التي تعرض لها العالم الاسلامي في نواحي الحياة كلها من الجمود والخمود في الفكر والحضارة والسقوط الاجتماعي والحضاري والبعد عن هداية القرآن وفهم مقاصده على الوجه الصحيح وجهل السببية في تحريك التاريخ، الوضع الذي أسلم العالم الاسلامي إلى غزو عسكري وفكري مخطط من الدوائر الاستعمارية ومؤسساتها.

لقد هاجم الأفغاني بشدة المناهج التفسيرية التي أقحمت علوما ومصطلحات لغوية وعقلية ونقلية خرافية في تفسير القرآن، فحجبت أنواره وحقائقه وسننه عن الناس، ودعا إلى فهم القرآن في ظل سياق البيان العربي

---

1) المستصفي للغزالي 2/32،الاحكام في أصول الاحكام للآمدي 2/290،أساس التقدير للرازي 210،جمع الجوامع للسبكي 2/357.

2) التفسير والمفسرون للذهبي 3/71.

---

(1) فضائح الباطنية للغزالي ص 21 ـ 22،التفسير والمفسرون 2/205ـ218.

السليم والقرآن نفسه والسنة النبوية الصحيحة وقوانين العقل والعمران البشري .

إن مثل هذا المنهج في التفسير هو الذي سيعيد التوازن الفكري إلى الانسان المسلم، ويقلع ما رسخ في عقول الأجيال من العوام ومعظم الخواص عن فهم بعض العقائد الاسلامية والنصوص الشرعية على غير وجهها مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معاني توجب ألا يتحركوا لطلب مجد أو تخلص من ذلة (1) .

ولقد استطاع الشيخ محمد عبده (ت 1908م) أن يحول منهج أستاذه إلى واقع تفسيري، ظهر فيه ذكاؤه الشديد وعمق فكره وثقافته وحسن فهمه لطبيعة التغيرات في عصره واستطاع أن يقود مدرسة تفسيرية حديثة في ضوء منهج أستاذه، كان من تلامذتها السيد محمد رشيد رضا والشيخ المراغي والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد أبو زهرة، والأستاذ سيد قطب الذي إهتم زيادة على الأسس التي اتبعتها هذه المدرسة باستكشاف الأسلوب القرآني في التعبير والتصوير، محاولا احداث تغيير جذري في أوضاع العالم الاسلامي عن طريق تحويل المنهج إلى حركة تقوم بالتخطيط لتغيير الأوضاع الشاذة غير الاسلامية في المجتمعات الاسلامية .

وهكذا نجد من خلال هذه المقدمة الموجزة في رصد حركة تطور التفسير، أن القرآن الكريم تعرض إلى قراءات متلاحقة عبر العصور، وهذا الأمر بديهي جدا، لأن القرآن الكريم كمال إلاهي مطلق وبحر لا ساحل له، كل عصر يستطيع أن يستنبط منه قضايا ومسائل تعينه على اجتياز المأزق الحضاري الذي يجد نفسه فيه. فعلى ذلك يمكننا القول بأن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد في ظل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه، ولا يمكن أن نوقف تفسير كتاب الله عند عصر معين، لأننا إن زعمنا ذلك، طعنا في خلود القرآن الكريم

(1) العروة الوثقى ص 162 ـ 169 . جمال الدين الافغاني للشيخ عبد القادر المغربي ص 61 ـ 62 .

وكونه الكتاب الخاتم المهيمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

غير أن أية قراءة جديدة للقرآن الكريم لا بد أن تتم في اطار الضوابط الصحيحة التي أجمع عليها أهل الاسلام عبر العصور، لأن تجاهل تلك الضوابط ينتهي إلى الانحراف والعبث بالقرآن وإلغاء معانيه واخراجه عن مقاصده كما حدث للفرق المنحرفة الخارجة عن دائرة الاسلام لا سيما الباطنية التي ألغت في تفسيرها الضوابط اللغوية والنقلية والعقلية جميعها. وكان المراد من ذلك الغاء النص على القطع (1) .

ومن الممكن حصر تلك الضوابط في هذه العجالة بحلقات خمس، تأخذ كل حلقة فيها برقاب الحلقات الأخرى، حتى تتكامل وتكون حصنا منيعا لا يخترقها المتصيدون في الماء العكر في عصرنا الذين يريدون أن يفرغوا القرآن الكريم من عقائده وشرائعه ومقاصده وقيمه بالدعوة إلى إعادة النظر في تفسير القرآن دون أي اعتبار لتلك الضوابط اللغوية والنقلية والعقلية التي أجمع عليها المسلمون منذ عصر الرسالة إلى اليوم .

وها نحن نعرض تلك الضوابط والأصول في الحلقات الآتية :

الحلقة اللغوية :

من المعلوم أن القرآن الكريم خطاب لغوي بلسان عربي مبين. وكانت معاني الألفاظ العربية ومداليل تراكيبها معروفة عند العرب جميعا لم تترك لضياع الزمان، بل سرعان ما شعر اللغويون جميعا قبل مضي نصف قرن على نزول الكتاب الكريم بخطورة تدوين اللغة، فرحلوا إلى باطن الصحاري حيث القبائل من العرب الاقحاح ودونوا العربية من حيث فقه ألفاظها ونحوها وصرفها وبلاغتها تدوينا علميا دقيقا جدا لم تشهد مثله أمة من الأمم في تاريخها .

(1) الاتجاه الباطني في التفسير، لكاتب هذا المقال، في العدد الرابع مجلة كلية الدراسات الاسلامية في بغداد .

ولم يترك هؤلاء شاردة ولا واردة في المجال اللغوي إلا دونوها بلهجاتها المتعددة ووجوهها الكثيرة، القوية منها والشاذة، حتى انهم لم يكتفوا بتدوين مواطن الاتفاق بل تحولوا إلى مواطن الاختلاف وسردوا حتى الآراء الضعيفة جدا.

ومن هنا فإن اللغويين والمفسرين وضعوا أمامنا في معنى كل لفظة قرآنية استقراء لغويا كاملا لدلالة ذلك المعنى في عصر نزول القرآن الكريم.

وفي هذا المجال بين الامام الشافعي رضي الله عنه، مسألة في غاية الأهمية في كتابه الأصولي الرائد «الرسالة» حيث يقول:

«إنه إذا كان علم اللسان العربي متعذرا على الأحاد، فعلمه ثابت للجميع، أي أن العرب جميعا يعرفون اللسان العربي كله. وذلك كالعلم بالسنة لا يحيط بها واحد علما، ولكن مجموع الأصحاب ومن بعدهم من التابعين ثم الخلائق من بعدهم قد احاطوا بكلها علما. فإذا جمع علم أهل العلم بها أتى على السنة كلها. وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب شيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره. وكذلك اللسان العربي، المجموع يعرفه» (1).

إذن فنحن نحدد معنى أية لفظة في القرآن الكريم بأن يطبق أهل اللغة أن معنى اللفظ الفلاني كذا، وينقلوا ذلك تواترا، فدلالة اللفظ على المعنى المنقول تواترا، تكون حينئذ دلالة قطعية يقينية. وألفاظ كليات العقائد الاسلامية وبعض الأحكام التشريعية هي من هذا النوع القطعي من حيث التواتر اللغوي.

على أن هنالك ألفاظا كثيرة في القرآن الكريم في مسائل العقائد الجزئية وقضايا الحياة العملية، لا نفهمها عن طريق التواتر القطعي، بل عن طريق الدلالة الظنية الراجحة، لوجود احتمال معنى آخر من حيث الاشتراك أو المجاز أو غيره. ولذلك فإن الأصوليين في الاسلام قد انتبهوا بدقة إلى مراتب دلالة الألفاظ، فقسموها إلى النص والنص المفسر والظاهر ثم الخفي ثم المشكل، وهنالك المجمل والمبين والعام والخاص والحقيقة والمجاز والاشتراك. ومن حيث كيفية دلالة اللفظ على المعنى هنالك الثابت بعبارة النص والثابت بإشارته والثابت بدلالته والثابت بمقتضاه، إلى غير ذلك من مباحث الألفاظ والدلالات التي عرضها الأصوليون من خلال منهج استقرائي دقيق في كتب الأصول المتنوعة المناهج.

الحلقة الثانية :

فهي في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ. إذ من المعلوم أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، ففيه العام والخاص والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والاطلاق والتقييد. وكذلك السنة النبوية الصحيحة، قولا وعملا وتقريرا، فقد فسرت لنا المقصود القاطع بآيات معينة عن طريق تخصيص عام القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وغير ذلك من المسائل التفصيلية التي نجدها في كتب التفسير وعلوم القرآن والأصول والفقه والكلام (1).

الحلقة الثالثة :

فإجماع الأمة منذ عهد صحابة رسول الله ﷺ إلى اليوم، إذ من غير المعقول أن تجتمع أمة بكاملها على ضلالة في قضية من القضايا. لا سيما أن القرآن الكريم والسنة النبوية قطعا بها، والأصل أن الاجماع لم يكن ليحصل لولا وجود الدليل القطعي أمامهم. والاجماع حجة أصولية حتى لو لم يصل الينا دليله. فكيف إذا وصل ذلك الدليل؟.

الحلقة الرابعة :

هي الدليل العقلي القطعي في تفسير آية من الآيات القرآنية. والعقل المقصود هنا ليس العقل الفردي وإنما العقل المنطقي البرهاني الذي هو الحد المشترك بين العقول. كالمبادىء الأولية التي لا يختلف فيها العقلاء.

دراسات في أصول تفسير القرآن للمؤلف ط 2. الدر البيضاء ص 31.

(1) راجع أمثلة كثيرة لكل ذلك في كتاب «دراسات في أصول تفسير القرآن» للمؤلف ص 111 ـ 130.

ولقد ذهب الجمهور الأعظم من علماء الأصول في الاسلام إلى جواز تخصيص عموم النص القرآني بالدليل العقلي، كما في قوله تعالى «الله خالق كل شيء» (2) حيث أن الآية تناولت بعموم لفظه لغة كل شيء مع أن ذاته وصفاته تعالى أشياء حقيقية، وليس خالقا لها ولا هي بمقدورة له، لاستحالة خلق القديم الواجب لذاته واستحالة كونه مقدورة له بضرورة العقل. فقد خرجت ذاته وصفاته بدلالة ضرورة العقل من عموم اللفظ وذلك مما لا خلاف فيه بين العقلاء (3).

الحلقة الخامسة :

يكمن في معرفة المفسر عصره والتيارات التي تقود حضارته زيادة على معايشته الدقيقة للمرحلة التي يمر بها مجتمعه الاسلامي، من حيث اعرافه السائدة ومشكلات حياته القائمة والاخطار والأدواء التي تحدق به وتعيق مسيرته الاجتماعية في الداخل والخارج.

ولا يكفي هذا حتى يكون مثقفا عصريا يمتلك نظرة شمولية للحياة بدراسة علوم عصره سواء في مجالات العلوم البحتة أم في العلوم الانسانية. ولا يشترط أن يبلغ فيها جميعا مبلغ الاختصاص الدقيق، بل يكفي في حقه ما يجعله ملما بحضارة العصر.

إن الاحاطة الشمولية تلك باوضاع وثقافة وعلوم العصر يوسع آفاقه العقلية وحسه التفسيري، فيدرك الأسرار المودعة في كتاب الله العزيز، ويستطيع أن يوجد حلولا جذرية لمشكلات الحياة الانسانية والاسلامية المتجددة من خلال النفوذ إلى سنن الله وحكمة تشريعاته ومقاصده. وبذلك يربط القرآن الكريم بحركة الحياة وصراعاتها، فيضبطها ويوجهها في إطار هدايته ومذهبيته المتوازنة في الوجود كله.

نتيجة :

وإذا طبق المفسر هذه الضوابط أو الأصول الصحيحة في كل عصر، حصل الهدف الأساس المقصود من أية نظرة جديدة في القرآن الكريم. لأن تغير حياة المسلمين عندئذ ينبعث من داخل المنظومة الحضارية الاسلامية التي أقامها كتاب ربهم وسنة نبيهم عبر العصور.

ومن هنا يأتي التغير طبيعيا متناسقا يخضع لمنطلق اسلامي يربط برباط محكم بين أجزاء الحضارة واستمرارها في ملائمة تامة. أي أن التغير عند ذلك تقوده مذهبية الاسلام في الكون والحياة والانسان، لا مذهبية روحانية أو مادية أخرى تخضع لمنظومات حضارية تتناقض أسسها ونتائجها مع الاسلام الحنيف.

إن أولئك الذين يدعون إلى إعادة النظر في تفسير القرآن الكريم في اطار غير اطاره، إنما يريدون اتباع المنهج الاستشراقي الذي يدعو إلى دراسة القرآن الكريم باعتباره كتابا دينيا بشريا يمثل في زعمهم مرحلة ما في الفكر البشري، فيطبقون عليه مناهج العلوم الاجتماعية المادية الحديثة التي تعد الأديان أساسا ظواهر اجتماعية بشرية، منطلقين من عدم التمييز بين الوحي الالاهي الصادق وبين الفكر الديني البشري المتطور، لعدم إيمانهم أصلا بوجود الله سبحانه وتعالى ووحيه إلى أنبيائه ورسله.

وحتى من الناحية اللغوية يريدون تطبيق نظريات لغوية أوربية حديثة منقوضة بأخرى غيرها، ظهرت بناء على تطور الحياة في أوربا وتمثل منطق تطور لغاتها تبعا لذلك. ويدعون إلى اهمال تفسير القرآن الكريم في إطار تركيب اللغة العربية وخصائصها التعبيرية التي بها نزل.

لا مانع قط كما ذكرنا من الاستفادة من العلوم الانسانية ومنها اللغوية الحديثة في تفسير القرآن الكريم وتوسيع مداليله وفوائده والكشف عن أسراره شريطة ألا يصطدم ذلك مع الضوابط والأصول الجوهرية التي عرضناها من قبل.

ثم هل يمكن أن يفسر القرآن الكريم ويدرك معناه ومقاصده واسرار التعبير، من يعتقد أنه كتاب بشري صادر عن عقل محمد ﷺ؟

---

(2) الرعد 13.

(3) الآمدي ـ الاحكام في أصول الاحكام 293/3 والمستصفى للغزالي 32/2.

أى هل يمكن أن نجوز للكافر أن يتحول إلى مفسر لكتاب الله؟ هل يمكن أن نجيز لمسلم جغرافي لا صلة له بالاسلام إلا الاسم، أن يتحول إلى مفسر لكتاب الله تعالى. ينسخ ما اجمع عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرنا بلاخلاف، بجرة قلم جاهل في تفسير أية آية من آيات القرآن الكريم؟

إن المسلمين عبر العصور أجمعوا على أن مفسر كتاب الله لا بد أن تتحقق فيه الشروط والضوابط التي ذكرناها، لأن تفسير القرآن لا يمكن أن يتوصل إليه بغير ذلك.

وفوق كل ذلك ذكروا أن المفسر لا بد أن يكون مؤمنا ورعا وصالحا في القول والعمل، حتى يعترف له بتفسيره، ويحترم فيه اجتهاده.

فهل تنطبق هذه الشروط على الملاحدة في الماركسيين والعلمانيين، وتلامذة اليهود والنصارى وأيتام الماسونية العالمية المتسكعين في ما يسمى بمعاهد الدراسات الاسلامية في بعض مدن أوربا وأمريكا وحتى بعض الأقسام والمعاهد في البلاد الاسلامية؟ أولئك الذين أثبتت كتاباتهم وسيرهم ونشاطاتهم أنه لا يجمعهم إلا التآمر على الاسلام والتشكيك في القرآن، وإلغاء معانيه واستبدال الثقافة والعلوم التي بنيت عليه بثقافات ذات أصول نصرانية يهودية مادية.

وهؤلاء لن نسميهم الآن إلا حين يبدأون بمشروعهم المزعوم في تفسير القرآن، فحينذاك، إن أحسنوا نقول لهم أصبتم ولا نبخس لهم محاولتهم، وإن أساؤوا نناقشهم بالحجة والدليل، حتى يفتضح أمرهم، وتنكشف عوراتهم أمام المسلمين، وأمام أهل الحق والانصاف في كل مكان.

★ ❉ ★

مع سنة رسول الله ﷺ

الشكر لأنعم الله وأثره على النفس والمجتمع

الأستاذ محمد الروكي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدلُ بين اثنين صدقةٌ، وتعينُ الرجل في دابته؛ فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».
رواه البخاري ومسلم (1)

● **شرح مفردات الحديث:**

السلامى: هي كما قال صاحب لسان العرب (2): عظام الأصابع في اليد والقدم. وحكى مثل ذلك الامام النووي عن ابن فارس والجوهري (3). وقال ابن الأثير في النهاية: السلامى جمع سلامية وهي الأنملة من أنامل الأصابع. ثم زاد موضحا: وهي التي بين مفصلين من أصابع الانسان (4).

والمراد بها في الحديث ـ كما يستفاد من روايته الأخرى ـ: العظام، والمفصل، والأعضاء. والمعنى: أنه ما من جزء من أجزاء الجسم الآدمي ـ عضوا كان أو مفصلا أو عظما ـ إلا وعليه صدقة في كل اشراقة شمس شكرا لله تعالى.

والمراد بالصدقة: ما يجلب الثواب من قول أو فعل، مادي أو معنوي، كالأمثلة الواردة في الحديث.

★ **المسلم مدين لله بالشكر لأنعمه**

ذكر الحافظ ابن حجر في معنى هذا الحديث: أن كل مسلم مكلف عليه بعدد كل مفصل من عظامه صدقة لله تعالى على سبيل الشكر له بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط (5).

والذي يظهر من هذا الكلام: أن العامل في شكر العبد لربه هو ذات العظام والمفاصل من حيث دقة صنعها وتركيبها، ومن حيث تمكن الانسان بواسطتها من الحركة. ونفس هذا المعنى يقرره ابن رجب الحنبلي بقوله: «ومعنى الحديث: أن تركيب العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم إلى صدقة يتصدق ابن ادم عنه ليكون ذلك شكرا لهذه النعمة». ثم يسوق آيات يؤكد بها ذلك، منها قوله تعالى: «يايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك (7)» وقوله: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» (8).

ويضيف العلامة الصديقي - صاحب كتاب دليل الفالحين - إلى ذلك أن هذا الشكر مطلوب من الانسان كل يوم لسلامتها فيه (9).

إلا أن الأولى أن يفهم الحديث على معنى أوسع مما ذكروه، بيان ذلك: أن الانسان مدين لله بنعمه التي لا يستطيع أن يحصيها: « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» (10) فوجوده، وحياته، ونموه، وتعلمه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، ومسكنه، وزواجه، وإنجابه، وسكونه، وحركته، وشغله، وفراغه (11)، وصحته، ومرضه (12)، وإقامته، وظعنه، و. . . . كل ذلك نعم من الله عليه، حتى موته نعمة. إقرأ إن شئت قوله تعالى: «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان» (13).

لأجل ذلك كان لزاما عليه أن يشكر ربه في كل يوم بعدد أعضائه ومفاصله وعظامه - كناية عن الاكثار له سبحانه لنعمه الكثيرة - وقد ذكر في روايات أخرى عدد المفاصل بأنها ثلاثمائة وستون مفصلا، وأن كل مفصل منها عليه صدقة. ومثل هذا: قولك لمن أكرمك غاية الاكرام: كل شعرة مني مدينة لك بالشكر. تقصد بذلك أنه يستحق الشكر الكثير لكرمه الكثير.

لهذا كان معنى الحديث: أن الانسان مدين لله بالشكر، في كل عضو من أعضائه، ومفصل من مفاصله، وعظم من عظامه، وفي كل خلية من خلاياه، وفي كل ذرة من ذرات جسمه. . . . .

ونعم الله لا يكثر من شكرها ويداوم عليه إلا العارفون بقدرها، وهم قليل: «وقليل من عبادي الشكور» (14). نقل عن يونس عبيد أن رجلا شكا إليه ضيق حاله، فقال له يونس: أيسرك أن لك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيدك مائة ألف درهم؟ قال: لا. قال: فبرجليك؟ قال: لا. فذكَّره نعم الله عليه، فقال يونس: أرى عندك مئين ألوفا وأنت تشكو الحاجة. . (15).

وقرأ الفضيل بن عياض قوله تعالى: «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين» (16) فبكى، فسئل عن ذلك، فقال: هل بت ليلة شاكرا الله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بت ليلة شاكرا الله أن جعل لك لسانا تنطق به؟ وجعل يعدد نعما أخرى من هذا القبيل (17).

★ **كيف وبم يكون شكر الله على نعمه؟**:

لما كان الانسان غارقا في نعم الله، وأنه بقدر ما هو غارق فيها بقدر ما يجب عليه من شكره لها - كان من الصعب عليه أن يحقق ذلك ويلتزم به. وقارىء هذا الحديث لا يكاد ينتهي من صدره حتى يتساءل: كيف يستطيع الانسان أن يتصدق عن كل مفصل من مفاصله؟ وفي كل يوم من أيام حياته؟. بل إن روايات (18) أخرى تذكر أن بعض الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن ذلك مستبعدين أن يطيقه الانسان.

لهذا جاءت بقية الحديث جوابا لهذا التساؤل، حيث بين ﷺ أن باستطاعة الانسان أن يشكر نعم الله عليه، وأن في طاقته أن يتصدق عن كل مفصل من مفاصله، إذا هو أقام حياته كلها على أساس دين الله،

وجعل تصرفاته كلها ناطقة بعبودية لله، يظهر ذلك من خلال الأمثلة التي مثل بها ﷺ على سبيل التوضيح، وهي :

1 ـ العدل بين الناس :

(تعدل (19) بين اثنين صدقة) : أورد البخاري هذا الجزء من الحديث في كتاب الصلح، وعنوه له بقوله: «باب فضل الاصلاح بين الناس والعدل بينهم». ويفهم من ذلك أن المراد بالعدل في الحديث: الالتزام بالحق عند الحكم بين الناس أو الاصلاح بينهم. غير أننا لا نرى في الحديث ذكر الاصلاح حتى نفسر العدل به. وقد أورد ابن حجر في ذلك جوابين:

الأول: أن الرسول ﷺ لما خاطب الناس كلهم ـ وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم ـ كان عدل الحاكم إذا حكم، وعدل غيره إذا أصلح.

الثاني: أن الاصلاح نوع من العدل، فعطف العدل عليه من عطف العام على الخاص (20).

والأحسن حمل العدل هنا على معناه الواسع، يشمل كل مظهر من مظاهره: من حكم الحاكم، وقضاء المحكم، وتدخل المصلح، وغير ذلك من صور العدل بين الناس (21).

2 ـ إعانة الناس على حاجتهم :

(وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة) : ونظير ذلك: أن تحمل عن أخيك شيئا، أو تسوي له شيئا، أو تقرب له شيئا، أو تصحبه في حاجته، أو تمكنه في شيء كأن تلبسه ثوبا أو تنزعه عنه، أو تجلسه أو تنهضه، أو تفتح له بابا، أو توقد له مصباحا. . . . أو غير ذلك مما تحصل به الاعانة مهما صغر شأنها أو عظم. إذ الحياة اليومية تتوقف على العشرات من الحاجات الجزئية، فأي حاجة منها تعين أخاك فيها فهي صدقة، وعمل مأجور.

3 ـ الكلمة الطيبة :

(والكلمة الطيبة صدقة): ويدخل فيها الذكر بكل أنواعه، والدعاء للنفس أو الغير، وإفشاء السلام، والثناء على الناس بحق، وكل ما يدخل السرور على السامع، وكل ما تحصل به الألفة، وكل مافيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال (22).

4 ـ المشي إلى الصلاة :

(وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة): وفي ذلك حث للمسلم على الصلاة في المسجد مع الجماعة، والمواظبة عليها. ومثل ذلك أيضا السعي لأداء الواجبات الشرعية الأخرى.

5 ـ إماطة الأذى عن الطريق :

(وتميط الأذى عن الطريق صدقة): ويدخل في ذلك: أن تنحي عن طريق المسلمين كل ما يؤذيهم من قذر، أوحجر، أو عظم، أو شوكة، أو غير ذلك. . . .

وهذه الأمثلة الخمسة لم ترد للحصر، وإنما وردت للتبيين والتمثيل، وإلا فهناك أمور أخرى كثيرة يمكن أن يتصدق بها المسلم عن نفسه، منها ما ورد في الروايات الأخرى للحديث، ومنها ما ورد في أحاديث أخرى. ولعل النبي ﷺ سأله غير واحد من المسلمين عن كيفية التصدق عن النفس وإعتاقها من النار، فكان يجيب كل واحد بما يناسب الحال والمقام، أعني أنه كان يراعي الظروف النفسية والاجتماعية والمكانية والزمانية للسائل، لذلك كان جوابه للأعرابي ليس كجوابه للحضري، وجوابه للغني ليس كجوابه للفقير، وجوابه للقوي ليس كجوابه للضعيف، وهكذا. . . .

ويضاف إلى هذه الأمثلة الخمسة ما جاء في الروايات الأخرى للحديث، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكف عن الشر، وإعانة ذي الحاجة الملهوف، والحمل عن الضعيف، ومساعدة المنقوص بصره، والمنقوص سمعه، واسماع الأصم، وهداية الأعمى، ودفن النخاعة في المسجد. . . (23).

وقد نصت أحاديث أخرى على كثير من الأمور التي تلحق بذلك، ويجمعها قوله ﷺ: «كل معروف صدقة» (24).

★ **مراتب الشكر لأنعم الله**

شكر أنعم الله له مرتبتان :

المرتبة الأولى : الشكر الواجب، ويتحقق بفعل الواجبات الشرعية، كإقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج للمستطيع، وبر الوالدين، والوفاء بالعهود، والاحسان إلى الجار، والحكم بالعدل، وغير ذلك مما أوجبه الله على المكلفين. كما يتحقق بترك المحرمات كأكل أموال الناس بالباطل، وشهادة الزور، والكذب، واقتراف الزنا، وشرب الخمر، والغيبة والنميمة، وقذف المحصنات المومنات، وغير ذلك مما نهى الله عن فعله.

فالالتزام بهذا كله يعتبر طاعة لله، وشكرا لأنعمه، وتقربا إليه، لما فيه من إقامة لأسس الدين. وفي الحديث القدسي : «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه» (25). وقبول الله من عباده أعمالهم التكليفية واعتبارها من قبيل الشكر لأنعمه، هو مظهر من مظاهر رحمته بهم، وهو في ذات الوقت نعمة من نعم الله التي تتوجب الشكر الكثير.

المرتبة الثانية : الشكر المستحب : وهو الاتيان بنوافل الطاعات بعد استكمال الفرائض، والكف عن المحارم، وهذه درجة السابقين المقربين ـ كما يقول ابن رجب الحنبلي ـ وهي تفضي مع المواظبة عليها إلى نيل حب الله. ففي الحديث القدسي : «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» (26).

★ **أنواع الشكر لأنعم الله**

وشكر أنعم الله على نوعين :

النوع الأول : الشكر بالأعمال التي يتعدى نفعها إلى الغير، وهو الأفضل، والأعلى مرتبة، قال الشيخ فضل الله الجيلاني : «ولا شك أن الصدقة في حق القادر عليها أفضل من الأعمال القاصرة» (27).

ويدخل في هذا النوع : العدل بين الناس بصوره المتقدمة، وإعانتهم، وإزالة الأذى عن طريقهم، وأداء حقوقهم من رد السلام عليهم، وعيادة مريضهم، واتباع جنازتهم، واجابة دعوتهم، وتشميت عاطسهم، والنصح لمستنصحهم. ويدخل فيه أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكف عن الأذى. ويدخل فيه أيضا : الكلمة الطيبة والتبسم في وجه المومن، والسعي في حاجته. ويدخل فيه : إنظار المعسر، والتفريج عن المكروب، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وغير ذلك مما ينفع الناس. . .

وتعدية النفع إلى الغير ـ في هذا النوع ـ ليس محصورا في كون هذا الغير مسلما، بل يمكن فتح المجال في ذلك ليشمل الانسانية جمعاء، قال الله تعالى في معرض مدح عباده الأبرار : «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا» (28). وقد يتسع المجال أكثر فيشمل الانسان والحيوان، قال ﷺ : «إن الله كتب الاحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» (29)، وقد أخبرنا صلوات الله عليه أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها (30). وأن رجلا شكر الله له في كلب سقاه (31).

النوع الثاني : الشكر بالأعمال التي يكون نفعها قاصرا على صاحبها، ويدخل في ذلك : الذكر بكل أنواعه، والصلاة، والسعي إليها، والجلوس في المسجد لانتظارها، ويدخل فيه أيضا التواضع في العيش، واكتساب الحلال بكد اليد، ويدخل فيه : محاسبة النفس، والندم على المعصية، والتوبة منها. ويدخل فيه التفكر في ملكوت الله، والتأمل في أمور الآخرة وما فيها من الوعد والوعيد. وغير ذلك مما ينفع النفس. . .

★ **القيم الروحية والتربوية في الحديث**

والمتأمل في هذا الحديث يخرج منه بحقيقتين كبيرتين :

الأولى : أنه يرتبط تلقائيا بخالقه المتنعم عليه، ويحس بعقله وقلبه وروحه وبدنه أنه عبد لله، مفتقر إلى

رحمته وفضله، ثم يدرك بعد ذلك أنه مقصر غاية التقصير فيما يجب عليه أمام ذلك كله، وبذلك يحيى فيه جانبه الروحي وينمو باستمرار، فيكون قد أخذ بأسباب الطاعة، وسلك سبيل عبادة ربه.

ويتضح ذلك أكثر إذا توقف عند كل كلمة من كلمات صدر الحديث: فهو حينما يقرأ: «كل سلامى» يتصور الثلاثمائة والستين مفصلا، وتركيبها الرباني البديع، وما هيئت له من وظائف ومهام، فيلتذ بجميل صنع الله.

وحينما يقرأ: «من الناس» يتصور أن هذا التركيب الرباني البديع توجد منه الملايين، فيحس بعظمة الله، ويزداد لذة واستئناسا...

وحينما يقرأ: «عليه» يحس بعبء التكليف ومشقة المسؤولية، فيستعد للقيام بها.

وحينما يقرأ: «صدقة» يزداد إحساسه بجسامة التكليف، وعبء الأمانة، ويشعر أن في ذمته أداء ثمن هذه النعم المغدقة عليه، فيزداد اندفاعا بنفسه إلى فعل الخيرات.

وحينما يقرأ «كل يوم» يدرك أن هذا الثمن مفروض عليه كل يوم، وأن عبء التكليف يلاحقه كلما بان الليل وأقبل الصباح، فيشتد تقديره للمسؤولية واشفاقه منها.

وحينما يقرأ: «تطلع فيه الشمس»: يتصور أن كل شيء في الكون يتحرك ويمضي لما يسره الله له: فالشمس تشرق، والنور يسطع، والحياة تسري... والكائنات تأخذ حظها من ذلك كله، فتنهض بوظيفتها خاضعة مذعنة غير وانية ولا متباطئة. فيشعر أنه ذرة من ذرات هذا الكون، عليه أن يذوب معها في بوتقة الايمان بالله، والانقياد لسننه الكونية. ولا يزال يقرأ عبارة «تطلع فيها الشمس» حتى يخزه وهج الشمس، ويصل إحساسه إلى القمة، فيخرج من اطار التذكر والتصور إلى مجال العمل والتطبيق. ويلتمس السبيل إلى ذلك، فيجد الرسول ﷺ قد بينها له في بقية الحديث من خلال الأمثلة التي ضربها له.

الحقيقة الثانية: حينما نقرأ بقية الحديث ندرك أن الرسول ﷺ يربي فينا حركية الاسلام، ونشاطه، وحيويته، ويعلمنا كيف نستفيد من كل مظاهر حياتنا، وكيف نوظفها في إطار منهج الله، حتى تصبح كلها عبادة لله.

ويتضح ذلك أكثر حينما نعرض عليه الأحاديث الأخرى الكثيرة التي فصلت وبينت:

لقد علمنا رسول الله ﷺ كيف نشكر الله على نعمه ونحمده عليها في كل آونة وحين: عند إصباحنا وإمسائنا، وعند نومنا ويقظتنا، وعند خروجنا ودخولنا، وعند سفرنا ورجوعنا، وعند ركوبنا ونزولنا، وعند مأكلنا ومشربنا، وعند ملبسنا وممشانا، وعند إمطارنا وهبوب الرياح علينا، وعند إهلال الشمس علينا و... وعند كل شيء نقوم به في حياتنا، حتى عند دخولنا بيت الخلاء وخروجنا منه، وحتى عند إتيان أحدنا أهله.

فما من حركة نتحركها، أو لفتة نلتفها، أو طرفة نطرفها، إلا وفيها حمد الله وشكره. وما من لحظة من لحظات أعمارنا إلا وهي ناطقة بالثناء عليه والتوجه بالدعاء إليه.

وليس ذلك فحسب، بل إنه ﷺ علمنا كيف نبتغي وجه الله بذلك كله، ونتعبده به، حتى النوم والأكل والشرب، بل حتى إتيان الشهوة: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يارسول الله، أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟. قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال له أجر» (32).

فالرسول ﷺ يقفنا على أصول العبادة وفروعها، ويربي فينا روح العمل والسعي والانتاج لافادة النفس والمجتمع. ويكون فينا مثل المسلم الحركي النشيط، القائم بأمر الله، الذي يفيض إيمانا وإحسانا، والذي يعتبر كل ما يصدر عنه من صغير وكبير نوعا من العبادة، جاعلا ميزانه في ذلك ابتغاء وجه الله، وإخلاص النية له في السعي، غير مبال بالمقاييس المادية الصرفة، إذ العبرة عنده بمبدأ العمل وكيفه لا بكمه وقدره، سأل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: «قلت

يارسـول الله دلني على عمل إذا عمل به العبد دخل به الجنة. قال: يؤمن بالله. قال: قلت: يا رسول الله، إن مع الايمان عملا. قال: يرضخ مما رزقه الله. قلت فإن كان معدما لا شيء له؟ قال: يقول معروفا بلسانه. قلت: فإن كان عييا (34) لا يبلغ عنـه لسانـه؟ قال: فيعين مغلوبا. قلت: فإن كان ضعيفا لا قدرة له؟ قال: فليصنع لأخرق. قلت : فإن كان أخرق؟ فالتفت إلي فقال: ما تريد أن تدع في صاحبك شيئا من الخير. فليدع الناس من أذاه. قلت: يا رسول الله إن هذا كله ليسير. قال: والذي نفسي بيده، ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله إلا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة» (36).

● الهوامـش :

(1) وخرجه أيضا: أحمد وأبو داود وابن حبان والبزار وأبو عوانـة وأبـو نعيم والـطبراني. انظر تفصيل ذلك في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

(2) لسان العرب لابن منظور. الجزء 12 ـ ص. 298.

(3) تهذيب الأسماء واللغات للامام محيي الدين بن شرف النووي: الجزء الأول من القسم اللغوي.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: الجزء: 2 ـ ص. 178.

(5) فتـح البـاري بشرح صحيح البخـاري لابن حجر العسقلاني: الجزء: 6 ـ ص. 132.

(6) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي. ص. 228.

(7) سورة الانفطار: الآيات: 6 ـ 8.

(8) سورة النحل ـ آية: 78.

(9) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للعلامة محمد بن علان الصديقي الشافعي: الجزء: 2 ـ ص. 123.

(10) سورة إبراهيم: آية: 36.

(11) روى البخـاري عن ابن عبـاس في شأن الفـراغ والصحة قوله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

(12) المرض نعمة من وجوه منها: أنه ابتلاء مأجور صاحبه ان احتسب، ومنها أنه يعلمه الصبر والتحمل...

(13) سورة الرحمن: آيتا: 24 ـ 25. ومحل الشاهد فيها: أن الآية الأولى (24) أخبرت بأن كل ما على الأرض مما خلقه الله يدركه الموت والفناء. ثم جاءت الآية الثانية (25) تستفهم استفهام إنكار عن التكذيب بآلاء الله (أي نعمه).

(14) سورة سبأ: آية: 13.

(15) جامع العلوم والحكم لابن رجب. ص: 229.

(16) سورة البلد: آية: 9.

(17) جامع العلوم والحكم. ص: 228 ـ 229.

(18) انظر تفصيل هذه الروايات في جامع العلوم والحكم ـ ص: 227 ـ 228.

(19) هذا الفصـل منصوب بإضمار أن المصدرية. ويجوز رفعه، والتقدير في كلتا الحالتين عدلك بين الاثنين صدقة. ومثله قول المثل العربي: تسمعُ (تسمعَ) بالمعيدي خير من أن تراه.

(20) فتح الباري لابن حجر. الجزء: 5 ـ ص: 309.

(21) انظر دليل الفالحين. الجزء: 2 ـ ص: 123.

(22) انظر المرجع السابق. نفس الجزء والصفحة.

(23) انـظر رياض الصـالحين: «باب في بيان كثرة طرق الخير» فقـد ساق فيه الامام النووي خمسة وعشرين حديثا. منها حديث الباب وبعض رواياته ومنها أحاديث أخرى. وكلها تشمل العديد من الأمور والأعمال، التي تلحق بالأمثلة الخمسة الواردة في الحديث، فلتراجع.

(24) رواه البخاري.

(25ـ26) هما جزءان من حديث رواه البخاري.

(27) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للشيخ فضل الله الجيلاني: الجزء الأول. ص: 311.

(28) سورة الانسان ـ آية: 8. ووجه الاستدلال فيها أن إطعام الأسير مما مدح الله به عباده الأبرار. والأسير لا يكون من المسلمين طبعا.

(29) رواه مسلم.

(30) روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

(31) روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش فوجد بئرا، فنزل فيه فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث. يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. فقالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر.

(32) رواه مسلم.

(33) قال في اللسان: رضخ له من ماله يرضخ رضخا: أعطاه. انظر الجزء 3 ـ ص: 19.

(34) العيي: هو الذي لا يستطيع أن يخاطب الناس بما يريد. وضده: طلق اللسان.

(35) الأخـرق: الذي لا يحسن الصنعة. انظر القاموس المحيط للفيروز ابادي. الجزء: 3 ـ ص: 234.

(36) رواه ابن حبان في صحيحه.

مقالة مختارة

أمراض الصّحوة الإسلامية
محاولة للتشخيص والعلاج

بحث مقدم إلى الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامي. الجزائر 10 ـ 16 يوليوز 1984م.

محي الدين عطية

المسلم المعاصر ـ عدد 42

﴿مقدمة﴾

كأي كائن حي، يتعرض لظواهر الصحة والمرض، تصاب الصحوة الاسلامية المعاصرة بظواهر الصحة والمرض، أو بما نسميه الايجابيات والسلبيات. والتعرف على الداء وتشخيصه هو أول خطوة على طريق العلاج. لذا كان من المفيد أن يجتمع المهتمون بالأمر، لا ليكيل بعضهم المديح للبعض الآخر، ولا ليتباهوا على العالم بما أنجزه العمل الاسلامي خلال فترة من الزمان، وإنما ليتدارسوا عقبات الطريق، ما كان منها خارجاً عنهم وما كان من عمل أيديهم، وهذا الأخير هو ما اصطلحنا على تسميته بالنقد الذاتي، وهو ما تتناوله هذه الورقات في إطاره الفكري.

والنقد الذاتي بمعنى مراجعة النفس أو النشاط، فرديا أو جماعيا، ثم محاسبتها نراه في الآية الكريمة: ولا أقسم بالنفس اللوامة... ولم يقل اللائمة، وإنما اللوامة. «أي أن هذه النفس أصبح لها هذا الأمر خلقا وعادة.. فهو ليس أمراً يستنفر له بين حين وآخر، بل هو عملية روتينية تشكل أسا من أجزاء العمل الرئيسية» (جلبي 21).

وحديثنا عن السلبيات لا يعني نكراننا للانجازات الايجابية التي واكبت ظاهرة الصحوة الاسلامية المعاصرة. وإنما يعني اهتماماً مركزاً بإصلاح عيوبنا قبل أن نوجه اللوم إلى غيرنا. وتشخيص المرض هو عمل إيجابي بناء لكل من يزمع المساهمة في العلاج، وليس لمن لديه هواية النقد وقذف الآخرين ليبرر لنفسه عجزها وقعودها عن الانتاج. «إن عملية النقد الذاتي هي التفات إلى العامل الجوهري الذي عن طريقه يمكن حل المشكلة جذرياً. فتطهير الوسط الداخلي هو الذي يهب الصحة ويرفع المقاومة ويقي من المرض. والعمل الاسلامي إهتم كثيرا بخصومه أكثر من داخله، فهو رأى الصليبية والصهيونية والاستعمار والمخابرات العالمية والشيوعية الدولية، ولم يلتفت إلى نفسه بهذا القدر مع العلم أن جوهر القضية هي نفسه. فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. بل نذهب شوطا أبعد من هذا فنقول: إن القوى الخارجية يجب أن نتوقع منها كل خبث وكيد وتخطيط مضاد. ولكن ليس لنا عليها سيطرة إلا من خلال أنفسنا بأن نحقق في أنفسنا عدم القابلية حتى لا ينفذ منها مخطط العدو. فنفوسنا، لنا قدرة أن نغير فيها، على خلاف عدونا، ونحن تركنا مجال الانتاج إلى حيث اللا إنتاج» (جلبي 39).

وقبلّ أن ندلف إلى صلب موضوعنا، يحسن أن نقدم تعريفا للصحوة وبيانا موجزا لأسبابها والتبنؤ بحدوثها.

* * *

● تعريف الصحوة

لن نوغل في التنظير فنتلمس تعريفاً جامعاً مانعاً للصحوة الاسلامية المعاصرة، إذ ليس هذا مجاله. وإنما نطرح هذا التعريف ـ استكمالاً للبحث ـ وتبياناً لما نقصده عندما نتناول الظاهرة بعد ذلك بالدراسة والتحليل.

فنحن نريد بالصحوة الاسلامية المعاصرة تلك الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي تشير إلى تنبه الأمة الاسلامية وإفاقتها واحرازها تقدماً مطرداً في احساسها بذاتها واعتزازها بدينها وفي تحررها من التبعية الفكرية والحياتية، وسعيها للخروج من تخلفها وانحدارها، ولقيامها بدورها الحضاري الخيري المتميز باعتبارها خير أمة أخرجها الله لاعمار الأرض.

وهي ظاهرة شاملة لحركة الأفراد والجماعات والدول. ممتدة من مجاليْ الفكر والممارسة، متضمنة الايجاب والسلب في منجزاتها المتعاقبة على رقعة العالم الاسلامي وما يلحق به من جاليات إسلامية متناثرة في أنحاء المعمور.

● أسباب الصحوة

تحدث الكتّاب عن العوامل التي أدت إلى ظهور الصحوة الاسلامية، فهي كظاهرة تاريخية جديرة بالتحليل الموضوعي، كما أن الامساك بأسبابها يدفع المسلمين الغيورين إلى الاستزادة منها وتطويرها في الاتجاه الذي تؤتي فيه ثمارها.

ومن أكثر التحليلات شمولا وعمقا ما أورده صادق المهدي في دراسته المعنونة (الصحوة الاسلامية ومستقبل الدعوة) والتي جمع فيها **أسباب الصحوة** وعددها في سبع فقرات، نكتفي بايجازها في هذه المقدمة.

1 ـ **استمرار الجذوة :**
إن الضعف والركود لم يقتلا جذوة الاسلام تماما بل ما برح المصلحون والمجددون والثوار ينهضون هنا وهناك ينبذون التقليد ويقاومون الاستعمار، بإسم الاسلام واستجابة لداعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذه السلسلة المتصلة من مجتهدين بالقلم ومجاهدين بالسيف، هي التي مهدت عبر القرون للصحوة التي توهجت أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخبت حينا ليعود توهجها في النصف الثاني من القرن العشرين، مستقبلة القرن الخامس عشر الهجري. لقد ظلت أمة من الناس حافظة ضمير الأمة الاسلامية، مؤكدة أن الدين منصور وأن وعد الله حق، **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبورِ مِنْ بَعدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُون﴾**.

2 ـ **اكتشاف الخدعة :**
كانت الهيمنة في البداية للحضارة الغربية وافتتن بها بعض الناس ثم افتتن آخرون بالحضارة الشرقية الشيوعية وصارت الحضارتان طريقين للتنمية الرأسمالية أو الشيوعية للحاق بالعصر. ولكنهما لم تفيا بالوعد تماما، وتكشفتا عن ضعف خطير أذهل المفتونين بها أنفسهم. . وافتضح ما انطوت عليه الحضارات الوافدة من خطط استغلال لموارد الشعوب المغلوبة، واتضح أن الكبار إنما يتصارعون على سلب البلاد المتخلفة، وإن هم عاونوا فلكيْ ينالوا موقعاً أو موقفاً إلى جانبهم في صراعهم الدائب للسيطرة العالمية. هذه الحقائق فتحت عيون كثير من الضحايا.

3 ـ **البحث عن البدائل :**
إن كانت بعض المحاولات القومية قد اشتملت على درجة من التحرير السياسي والتعبئة الوطنية، إلا أنها كانت خارج الفاعل الأساسي في البلاد الاسلامية وهو الاسلام، مما دفع الناس إلى البحث عن البدائل.

4 ـ **التحرر من التقليد :**
انبرى كتاب ومفكرون تحرروا من تقليد الموروث ومن تقليد الوافد، استوعبوا نصوص الاسلام المنقولة واستوعبوا معارف العصر الحديث، وشرعوا يبثون فكراً إسلامياً عصرياً ومهما كانت اخفاقات هؤلاء فقد نجحوا في بيان أن تعاليم الاسلام صالحة للتطبيق مع اختلاف الزمان والمكان. هذا الفكر ساهم مساهمة فعالة في الصحوة.

5 ـ **التحدي الحضاري :**
هجوم الحضارة الغربية ثم الشرقية ثم الصهيونية التي ألقمت أمتنا جرعة مركزة نبهت حتى بعض الغافلين إلى أن ثمة تحديا حضاريا أساسيا يحيط بهم.

6 ـ **تحسين الجذور :**
في الصراع مع الاستعمار أحست الشعوب المغلوبة بانقطاعها من أصولها، وأحست أن ذلك الانقطاع هو جزء من خطة الاستعمار ليهندسها على شاكلته، لذلك شرعت الشعوب تبحث عن أصولها ومنابع ذاتها وكرامتها. والاسلام ـ في بلاد المسلمين ـ هو جذور الجذور، لذا فإنه استقطب الاهتمام فصار رمزا للاستقلال الحضاري من الاستعمار حتى لغير المسلمين.

7 ـ **الامكانات المالية :**
النفط هو وقود الحضارة الحديثة صناعيا وزراعيا. ووجوده بكميات هائلة في بلاد المسلمين زاد من أهميتها الاقتصادية في عالم اليوم. . ووضع في يدها موارد مالية ضخمة. . كما لعب وعي المسلمين المتصاعد بدورهم وأهمية منطقتهم دورا في الصحوة. (المهدي 63).

● التنبؤ بالصحوة

الصحوة الاسلامية التي يشهدها العالم المعاصر لم تكن مفاجئة للعالم الغربي، وإن كانت مفاجئة للعالم الاسلامي الذي لا يقرأ التاريخ.

يقول الدكتور حامد ربيع أستاذ العلوم السياسية: «إن جميع القيادات الفكرية العالمية توقعت هذه الصحوة منذ مالا يقل عن ثلاثين عاماً، بل وهناك من توقعها منذ أكثر من ستين عاماً».

«فالعالم الأمريكي سميث، في جامعة مونتريال في كتاب له أسماه «الاسلام اليوم» وصدر في الخمسينات، لفت نظر المسؤولين في بلاده إلى هذه الصحوة».

«والعالم الانجليزي صاحب الشهرة الدولية (وات) أيضا في تحليله للاسلام في العصور الوسطى الذي تضمنه كتابه الصادر عام 1964م توقع هذه الصحوة، ووصفها بأنها سوف تقود إلى أيديولوجية رابعة ستتحكم في العالم المعاصر في نهاية القرن الحالي».

العمل الاسلامي في كل العصور، وليس سمة للصحوة المعاصرة وحدها بل هو ضارب في التاريخ الاسلامي منذ قديم.

يقول خالد محمد خالد في بحث له عن التطرف:

«في رأينا أن التطرف الديني بدأ في الاسلام بالفتنة التي أودت بحياة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. صحيح أن البواعث كانت خليطا من الفتنة السياسية والتطرف الديني إلا أنها في التحليل النهائي لها تبدو وكأنما لعب التطرف الديني فيها الدور الأساسي والرئيسي.. فقد كانت كل المآخذ التي روجها المتطرفون تعتمد في تقديرهم على مخالفات دينية.. ورغم أن الخليفة فند أكثرها، ورجع عن بعض الأخطاء التي حسبت على حكمه، فإن المتطرفين أججوا لظى الفتنة، وأضرموا نيرانها، للتأليب على الخليفة والتحريض على دمه».

«استحلوا قتل الرجال والأطفال وسبي النساء المسلمات مائة عام أو تزيد، يروعون الدنيا، ويشغلون الحكومات. ومن عجب أنهم كانوا من كبار العابدين، ومع هذا فقد تجاوز بهم التطرف كل حدود العدل والرحمة والحق والعقل» (خالد 55).

وللتطرف أسباب أفاض فيها الكتاب والمحللون، منها ما يتحمله العلماء والمفكرون ومنها ما تتسبب فيه الأنظمة الحاكمة عند ما تضيق الخناق على الاسلاميين فتدفعهم إلى العمل في الظلام، حيث المرتع الخصب لألوان الغلو والانحراف. والتطرف لا يولد مع الانسان ولا يورث. وإنما هو موقف ينتقل إليه تدريجيا دون تخطيط مسبق. وقد ينتهي به إلى موقف فكري لم يكن يتصوره هو لنفسه.

وكما يصيب داء الغلو أفكار الفرد فكذلك يصيب الجماعات. بل إنه يصيب أحياناً الدول التي تتبنى المنهج الاسلامي على أثر ثورة أو طفرة أو تغيير مفاجيء. فتلجأ في تشريعاتها إلى التشدد مع أن لها في التسيير والتدرج مندوحة. وتتبنى مواقف فكرية متطرفة عند اجراء التغيير الاجتماعي المنشود، أو عند معالجة المشاكل المزمنة بينها وبين جيرانها.

إن قرونا من التخلف والانحطاط الفكري والتبعية والاستعمار، لا يمكن تعويضها في سنوات معدودة. فالسلطة ليست عصا سحرية يمكن - عند امتلاكها - تحويل المجتمعات الغارقة في التخلف إلى مدينة فاضلة، تختفي منها الجريمة ويرفرف عليها الأمن والعدل ويعمها الرخاء.

«وانه لمن المشادة الفكرية للدين أن يرفع شعار: إما الاسلام كله.. وإما تركه كله.. وانه لمن المشادة العملية للدين أن يحاول أقوام تطبيق هذا الشعار وجعله سلوكاً عملياً، وإنهم لمغلوبون إن هم فعلوا ذلك. ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه. الطريقة الصحيحة هي: أن نعتبر أنفسنا بنائين نشيد صرح الاسلام لبنة لبنة وأن نعد كل عمل اسلامي إضافة لبنة لهذا البناء. ولئن أريد بشعار (خذوا الاسلام كله أو دعوه كله) الايمان الكامل بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة فهذا حق. لأننا مكلفون بالايمان بالكتاب كله ولعل الخلط بين هذه القضية وبين تطبيق الاسلام - وفق استطاعة - هو علة الغلو والفهم الخاطيء» (إدريس 18).

4 - الغـرور

وغرور النفس بما تفعل - مدخل خطير من مداخل الشيطان، فهو يزين للمسلم عمله ويحقر في عينه عمل غيره، ويظل ينفخ الغرور في صدوره حتى ينتفخ، وهو عندها لن يسمح لغيره أن ينقد له عملا أو يعدل له منهجا أو يؤاخذه على خطأ.

وعندما يصيب الغرور جماعة من الجماعات الاسلامية، تعم به البلوى على كافة أبنائها لالتزامهم موقف جماعتهم، بل ان نقد الآخرين لهم يصور على أنه نقد للفكر لا للسلوك، وطعن في الدين لا في فهمه وتفسيره.

ورغم أننا ندعو الله أن يرحم من يهدي إلينا عيوبنا، وأن يجزيه عنا خير الجزاء إلا أننا في واقع الأمر - لا نعترف بخطأ، ولا نمارس بأنفسنا نقدا ذاتيا. فعلى المستوى الفردي لا أتصور خطيبا في المسجد، أو كاتبا في صحيفة، يعلن أمام جمهوره أنه أخطأ في قضية فقهية أو فكرية، وأنه - بعد أن نبه إلى وجه الصواب فيها عدل عن رأيه الأول. إلا في النادر الذي يشذ عن القاعدة. وعلى المستوى الجماعي، لم نسمع عن جماعة إسلامية أعلنت - على لسان أحد قادتها - أنها أخطأت في موقف من المواقف - مهما كان الواقع ينطق بخطئها - وأنها عدلت عن ذلك الموقف رجوعا إلى الصواب.

إن لدى الحركات الاسلامية المعاصرة قدرا كبيرا من الثقة بالنفس يمنعها من أن يفيد بعضها من تجارب البعض الآخر، بل يمنعها في بعض الأحيان من أن يفيد كل منها من تجاربه هو ذاته، هذا فضلا عن الأجيال الجديدة من الاسلاميين الذين لا يفيدون من تجارب السابقين» (عطية - المتغيرات 6).

وعلى المستوى الحكومي، خاصة في دول العالم الاسلامي التي بدأت تمارس تطبيق الشريعة الاسلامية - تحت أي مذهب من المذاهب - لم نسمع عن مسئول استقال من منصبه بعد أن أدان نفسه في تصرف جانب فيه الصواب.. ذلك مع كثرة ما تتعرض له الممارسات الجديدة من اجتهادات خاطئة، تجرالبلاد إلى ويلات وحروب. ويحلل الدكتور خالص جلبي ظاهرة تجنب النقد الذاتي لدى الاسلاميين فيقول: «إذا كان الكون - بما فيه قطاع النشاط الانساني - يقوم على سنن الله التي لا تتبدل ولا تنحرف، فإن الفشل

في الوصول إلى الهدف لا يشكل استثناء في هذا الأمر، بمعنى أن الفشل له سببه الذي انطلق منه».

«فلماذا يفشل المسلمون؟ هناك تفسيرات:

1 ـ إن كلمة الفشل لا يعترف بها، لأن فيها حطا من قدر الاسلام لاختلاط المبدأ بالشخص، وصعوبة الفصل بين فشل الشخص المحاول، وبين مبدأ الذي لا علاقة له بنشاط الفرد.

2 ـ وهناك اختلاط في مفهوم المحنة، فالعذاب والفشل هو محنة ـ وهو أمر طبيعي فهي طريق الرسل ـ وهناك يختلط الامر بين المحنة والخطأ، مع أن المحنة هي معاناة عذاب الطريق الصحيح، والخطأ هو عذاب الطريق غير الصحيح.

3 ـ وهناك إرادة الله، بمعنى أن الخطأ الذي يحصل يغطى تماما فلا يراجع لأنه طالما عزي إلى إرادة الله سبحانه فلا حاجة إلى مراجعة أمر لا دخل لنا فيه.

4 ـ أو يأتي مفهوم انفصال السبب عن النتيجة.. بمعنى أننا غير مسؤلين عن النجاح والفشل، فإذا قمنا بالعمل الخاطىء وكررناه فنحن غير محاسبين، لأن علينا أن نقوم بالعمل وليس علينا الوصول إلى النجاح..»

«إن الناظر في السوق الفكرية الاسلامية يرى الاهتمامات متباينة، ولكنها تصب في النهاية في مديح العمل الاسلامي وليس نقده وترشيده، فطالما كان المبدأ الممثل في الاسلام يتمتع بالحصانة، كان تسرب الحصانة إلى المسلمين أمرا ممكنا» (جلبي 17).

5 ـ الانغـلاق

ونقصد به الانغلاق الفكري في الدرجة الأولى ذلك المرض الذي يصيب الفكر فيفضي به إلى التجمد أو إلى الذبول. ويأتي الانغلاق في الفكر نتيجة فقدان الارادة القادرة على التفاعل مع الثقافات الأخرى، ونتيجة فقدان التمييز بين ما يؤخذ منها وما يترك، فيكون المهرب والملاذ هو إغلاق النوافذ جميعا، وتضيق دائرة الحوار حتى أننا نرى بين أيدينا كتبا تقذف بها المطابع كل يوم، وصحفا ومجلات يصدرها الاسلاميون بغية نشر دعواتهم بين الناس، ولكنها لا تعدو أن تكون حوارا مع النفس أو حديثا داخليا يحدث بعضهم بعضا به، لا يهتم له غيرهم، ولا ينفعل به أحد، وما ذلك إلا لانفصالهم عن الفكر المعاصر وقضاياه، ورفضهم للتفاعل معه إلا في النادر الذي لا حكم له.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود:
«هناك درس يجب أن نتعلمه من أسلافنا الأولين، خلال القرون الأربعة الأولى من التاريخ الاسلامي على الأقل، حيث كان لهم موقفان يدعوان إلى التأمل والاحتذاء: أولهما موقفهم من عصر الجاهلية، وثانيهما موقفهم من الثقافات غير الاسلامية: اليونانية والفارسية والهندية، فهم في كلتا الحالتين قدروا بكل ثقة في أنفسهم على ما لم نقدر نحن عليه في عصرنا الحاضر إزاء الثقافة الغربية، من حيث تحليلهم للمصدر الخارجي، يفرقون به بين ما يؤخذ وما ينبذ، ولم يتزمتوا عن خوف فينظرون إلى «الثقافة» المعينة ممزوجة بأصحابها، ويخشون أن يمسوا فيها جانبا فتتسلل إليهم سائر الجوانب» (زكي نجيب).

ويبين الدكتور أحمد كمال أبو المجد كيف يقضي هذا الانغلاق إلى سلسلة أخرى من المخاطر: التقصير أو العجز عن إقامة علاقات متصلة ومتزايدة القوة مع سائر عناصر المجتمع. هو أثر من آثار منهج يبسط الأمور وهو منهج (من ليس منا فهو من خصومنا) وقد يتحول من مجرد التقصير في دعوة الآخرين أو الاتصال بهم إلى نوع من الخصومة العامة مع المجتمع، وهذه الخصومة مدخل من أخطر مداخل الانحراف في فهم الاسلام والعمل بإسمه، لأنه يرجع إلى آفات كثيرة كاعتبار الدعاة أنفسهم (جماعة المسلمين) وكإتهام المجتمع بالجاهلية وكالتعالي على الناس» (أبو المجد ـ الدعوة 10).

ويحلل موقف الانغلاق الدكتور محمد رضا محرم في بحث بعنوان (أفكار الآخرين) حيث يقول:

«إن موقفنا غير المتوازن من أفكار وثقافات الآخرين ينتج عنه سوء الظن الذي ينجب موقفا عدوانيا حين التعامل معهم يتمثل هذا الموقف في نوعين متناقضين من المشاعر تجاههم: أولهما الاحساس بالدونية أمام فاعلية هذه الأفكار مما يدفع إلى تبني الرفض العصبي أو التبعية المرضية لأفكار الآخرين وثقافتهم. وثانيهما الاحساس الكاذب بالاستعلاء على أفكار الآخرين وثقافتهم مما يدفع إلى الحط الدائم من قدرهم وإلى التهوين الساذج من إبداعاتهم وإلى التحامل الطفولي على إنجازاتهم الثقافية» (محرم 43).

6 ـ السطحيـة

إن الامتداد الأفقي السريع للصحوة الاسلامية لم يصاحبه ـ بنفس السرعة ـ إمتداد رأسي ترسيخي. ففي كل عام نسمع من جماعة إسلامية جديدة نشأت في مكان ما من العالم الاسلامي. وفي كل عام نسمع عن منهج جديد للاقتصاد الاسلامي أو الاعلام الاسلامي أضيف إلى مناهج كلية الاقتصاد أو كلية الآداب في إحدى جامعاتنا. ولكن نظرة واحدة إلى المادة العلمية التي تدرس في هذه المناهج الجديدة وإلى مدى تطورها وتجذرها واستيعابها، تردنا إلى الواقع الفكري المسطح الذي نعيشه، رغم حماسنا الدافق ورغبتنا العارمة في التغيير.

وما ينطبق على المجال الأكاديمي ينطبق أيضا على المجال التطبيقي **فالذين يلحون في المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية في بلدانهم ـ وهم محقون في ذلك ـ لا يحملون في أيديهم دراسات ميدانية مستوفاة لما يطالبون به** «ومحنتنا أننا لا نعرف أننا لا نملك النظم الحاكمة للمؤسسات (الحضارية) المطلوبة، فكثير منا يتصور أن الكتاب والسنة قد اشتملا على كل النظم الحضارية المطلوبة، وكأن لسان حالنا يقول قنب الصفحات تجدها. . والحق الذي نؤمن به أن الكتاب والسنة قد اشتملا على كل المبادىء والأخلاقيات الكافية واللازمة لانبثاق نظم حضارية، ولكن النظم الحضارية نفسها هي محاولات بشرية تنطلق متحررة من كل القيود إلا القيود الأخلاقية والمبادىء الأساسية التي يحددها الكتاب والسنة والتي نؤمن بأنها خير أساس لقيام حضارة إنسانية ليس كمثلها حضارة» (دسوقي وسفر 30).

يقول خليل حيدر في بحث بعنوان مستقبل الحركة الدينية:

«إن الكتب الدينية الحزبية تؤكد دائما على استقلالية النظام الاقتصادي في الاسلام وتميزه عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي. وبالرغم من أن هذه المؤلفات تحوي كمية هائلة من الآيات الكريمة والأحاديث والأمثلة التاريخية الجميلة، فإنها تكاد تخلو من الاحصائيات والأرقام والأمثلة المرتبطة بحياة البشر في المجتمع المعاصر، مجتمع التقدم الصناعي. إن الحركة الدينية مثل سائر حركات العدالة الاجتماعية التي سبقتها، تخلط بين حياة كما ترسمها نظرياتها وأيديولوجياتها وآمالها، والحياة التي من المتوقع، بل الأكيد أن تفرضها الوقائع اليومية وطبيعة تضارب المصالح بين البشر. فالكتاب يصرون دائما على إهمال الواقع كي يظلوا سابحين في عالم المثل».

7 ـ الارتجال

والارتجال يعني فقدان التخطيط، واضطراب الأولويات، وهو أمر لا يقتصر أثره الضار على ضياع الجهد في غير محله أو إنفاق المال في غير موضعه أو تقديم المهم على الأهم منه، وإنما يتعدى أثره إلى أبعد من ذلك ـ خاصة إذا مارست هذا الارتجال جماعة أو حركة ترفع شعار الاسلام ـ إذ أنه يعكس صورة للاسلام مشوهة، ليست من الحقيقة في شيء. وهذا المرض ليس قاصرا على العاملين في الحقل الاسلامي، بل هو آفة العالم الثالث بوجه عام. **فالارتجال أثر من آثار التخلف وسمة من سمات عالمنا الاسلامي على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والتربوية.**

يقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد:

«إن من أمثلة الخلل في ترتيب الأولويات أن يسوى الداعية في الالحاح والتشديد بين أمور تتفاوت أهميتها وخطورتها في نظر الشارع ونظر الناس على السواء. . أليس غريبا ـ على سبيل المثال ـ أن يطيل بعض الدعاة الحديث في النهي عن سماع الموسيقى والغناء، أو في المطالبة بفرض لبس الحجاب على النساء أو الانكار الشديد على شاربي الدخان. . وألا نرى منهم نفس الاهتمام والحماس حين يتصل الأمر بقضايا الحرية أو الشورى أو العدل في توزيع الثروات وتحديد أجور العاملين» (أبو المجد ـ الدعوة 17).

وتحت عنوان: الاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «ومن دلائل عدم الرسوخ في العلم، الاشتغال بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية عن القضايا الكبرى التي تتعلق بكينونة الأمة وهويتها ومصيرها، فنرى كثيرا منهم يقيم الدنيا ويقعدها من أجل حلق اللحية أو إسبال الثوب أو تحريك الاصبع في التشهد، أو اقتناء الصور الفوتوغرافية أو نحو ذلك من المسائل التي طال فيها الجدال، في الوقت الذي تزحف فيه العلمانية اللا دينية، وتنتشر الماركسية وترسخ الصهيونية أقدامها، وتكيد الصليبية كيدها وتتعرض الأقطار الاسلامية العريقة في آسيا وافريقيا لغارات تنصيرية جديدة، ويذبح المسلمون في أنحاء متفرقة من الأرض.

والعجيب أني وجدت الذين هاجروا إلى أمريكا وأوربا لطلب العلم أو لطلب الرزق قد نقلوا هذه المعارك الجانبية إلى هناك» (القرضاوي 70، 71).

أما على المستوى الحكومي، فقد دفع الحماس بعض الدول التي أعلنت التزامها بتطبيق الشريعة الاسلامية خلال العقد الأخير أن تتعجل في إصدار تشريعات لم تأخذ حظها من التخطيط والترتيب وحسن السياسة، مما اضطرها إلى اجراء تعديلات متتالية، اضطربت معها شؤون البلاد بينما بقيت المشاكل الحياتية الرئيسية دون عناية أو علاج.

لقد اشترك عضو ممثل لاحدى الدول الاسلامية في مؤتمر الزكاة الأول الذي عقد في الكويت هذا العام، وتلا على الحاضرين تشريع الزكاة الذي صدر مؤخرا في بلاده، ولما ناقشه الحاضرون اتضح أن المشرع لم يطلع ـ عند اصدار القانون ـ على ما أصدرته أربع دول أخرى من تشريعات مماثلة خلال السنوات العشر الماضية. . .

8 ـ تقديس التراث

إن الآفة التي لحقت بكثير من الحركات والتجمعات الاسلامية المعاصرة، فضلا عن كثير من علماء الأمة ومتعلميها، هي آفة تقديس كل ما هو قديم، حتى صارت صفة القدم في حد ذاتها تضفي على العمل قداسة تحول بينه وبين النقد والتحليل. وقد

أصبحت التراكمات العلمية والفقهية والممارسات الحياتية عبر القرون السالفة تمثل تراثاً ضخماً يختلط في أعين الناس بأصول الدين وقواعد الشرع، وبالتالي يمتنع على النقد والتدبر والتحليل، ناهيك عن الرفض والمعارضة والادانة.

يقول الأستاذ عبد الحليم محمد أحمد تحت عنوان: حول تقديس التراث:

«**إن الله فرض قدسية دينه، ولا قدسية** لاجتهادات البشر سواء كان هؤلاء البشر من صحابة رسول الله ﷺ أو من الأئمة التابعين ومن بعدهم أو من الأتقياء الصالحين أو من الزعماء الملهمين. وأن ديننا لم يرض للانسان أن يقف خاشعا إلا أمام جلال الله ساعة عبادته وساعة تلقي هدايته، ومع خشوع القلب فرض الدين على العقل أن يكون يقظاً متدبراً متفكراً».

«هكذا الدين وهكذا الانسان ولكنا نحن ورثة الدين قد مسخنا الدين ومسخنا الانسان. مسخنا الدين بتحميله كل اجتهادات القرون فصار عملاقاً رهيباً وسيفاً مسلطاً على عقل الانسان. ومسخنا الانسان باخضاعه لتراث القرون فصار قزماً أشل لا يملك غير التسليم. بل ونرفع رتبته كلما استمسك بالتقليد، فأشركنا بذلك مع الله آلهة أخرى من البشر» (عبدالحليم 18).

إن تقديس القديم بخيره وشره - لأنه قديم - يجمد حركة العقل المسلم، ذلك العقل الذي كرم الله الانسان به، وجعله وعاءً للفكر، وحادياً لقافلة الحضارة الانسانية. «إن الأصل في ديناميكية الأفكار هو أن كل نظم البشر، قديمها وحديثها ينقصها الكمال وليس فيها شيء مقدس، ومن هنا يتحرك الفكر ليكمل النقص، ثم يتحرك الزمن وتتغير الأحوال فيبدو في النظم نقص ما كان ليراه الأولون، حيث كانت تلك النظم محكومة بظروف، فيتحرك الفكر مرة أخرى لسد النقصان وإقامة العمران».

«أما إذا جمد الفكر عند نظم موروثة فقدسها، فإن هذه النظم سوف تصبح قيدا حضاريا يعوق مسيرة الحضارة وتفاعل الانسان مع البيئة والزمن».

(دسوقي وسفر 41)

وسائل العلاج

لا مخرج من أزمتنا الفكرية إلا بإعادة العقل المسلم إلى مكانته التي كرمه الله بها. ومسؤلية تحريك العقل المسلم في المسار السليم تقع على عاتق العلماء والمفكرين في الدرجة الأولى. فعلى المستوى الفردي. يكمن العلاج في الصفوة من هؤلاء الذين حملوا أمام الله أمانة القلم.

في الساحة الاسلامية عدد محدود يملك التأثير - بكتبه وصحفه - في الملايين من أبناء الأمة الاسلامية على إختلاف مواطنهم وألسنتهم.

من هؤلاء علماء وفقهاء وناشرون وصحفيون وزعماء ومفكرون. كما أن منهم من ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ولكن الظروف دفعت بأسمائهم بين هؤلاء فاعتلوا الموجة معهم.

وأصحاب الريادة الفكرية هؤلاء - عن جدارة أو عن غير جدارة - بأيديهم أن يتقوا الله في هذا الجيل، وأن يتخلوا عن السطحية والارتجال، وأن يكفوا عن دغدغة العواطف وعن الاستهانة بعقول القراء، وأن يكفوا على ما يخرجونه للناس من فكر منشور فيطهروه من دواعي الفرقة ومن مظانها قبل أن يطرحوه على الناس، وألا يستغلوا شهرتهم في اجترار ما سبق أن طرحوه مكرراً بشكل أو بآخر، فيتسببوا بذلك في عزوف الناس عن الكتب والكتاب. وألا يكتفوا بالنظر تحت أقدامهم وهم يمسكون بالقلم، وإنما عليهم أن يحسبوا ألف حساب لما يمكن أن يترتب على إطلاق ما لديهم من إرشاد أو توجيه. فالكلمة ملك لصاحبها قبل أن يخرجها للناس، فإن خرجت فهي التي تملكه ولا سلطان له عليها في تفسير أو تأويل. إن ترشيد العقل المسلم في هذه الصحوة منوط بمن يوجهون الفكر الاسلامي في هذا العصر. وفي مُكنتهم أن يرتفعوا إلى مستوى مسئوليتهم بالتجرد والمثابرة والتمحيص.

وعلى المستوى الفردي أيضاً، يكمُنُ بعض العلاج في أيدي آلاف المدرسين والمدرسات الذين نعهد إليهم بأبناء هذا الجيل على امتداد العالم الاسلامي بأسره. والمسئولية ليست قاصرة على من يلقنون التلاميذ دروس الدين الاسلامي أو قواعد اللغة العربية، بل إن تأثير المربي على تلميذه لا تُحده مادة علمية أو علاقة مقننة، داخل جدران أربعة.

إن الصفوة الملتزمة المدركة لرسالتها من بين هذا الجيش من رجال التربية بأيديهم مفاتيح العقول المتشوقة إلى المعرفة. ويمكنهم أن يتقوا الله في أبناء هذه الأمة، وأن يكونوا على مستوى رسالتهم السامية، قدوة ثم عطاءاً.

وبعض وسائل العلاج بين يدي أساتذة الجامعات في عالمنا الاسلامي. فهم قادة الفكر الذين يشكلون عقول النخبة الرائدة في الأمة.

إننا إذا أسقطنا من حسابنا أولئك الذين مسخ الغرب هويتهم وأفقدهم إيمانهم بدينهم واعتزازهم بأصولهم، فسوف يتبقى لدينا آلاف من الأكفاء المؤمنين برسالتهم الحضارية، وهؤلاء هم الذين نعقد عليهم الآمال. ونحملهم التبعة، ونطالبهم بأداء دورهم الحقيقي حيال أبنائهم الطلاب.

إن جيل الصحوة الاسلامية لا ينقصه الحماس والعاطفة، ولكن ينقصه الفكر المستنير، والقدوة الصالحة، والرعاية الواعية. ولن يلتمس هذا كله إلا في أساتذته المقربين إليه، المتجاوبين معه، الحاملين أمامه هموم أمته وآمالها.

وعلى المستوى الفردي أيضا، يكمن العلاج في أيدي أثرياء المسلمين الذين يستطيع واحد منهم بمفرده أن ينشىء مؤسسة تضاهي مؤسسة نوبل أو كارنيجي. إن بعض العلاج في أيدي هؤلاء الأثرياء الذين يستطيع واحد منهم بمفرده أن يرعى مئات الباحثين العباقرة وأن ينقذهم من إضاعة أعمارهم يلهثون خلف لقمة العيش، أو تتلقفهم مؤسسات مشبوهة فإذا بهم وبال على أمتهم بدلا من أن يكونوا دعائم صحوتها ونهضتها.

إن أثرياء المسلمين يمكنهم أن يزرعوا في كل عاصمة إسلامية مركزا لبحوث تقنين الشريعة، ومراكز لفهرسة التراث، ومراكز للمعلومات المتخصصة في كل فرع من فروع العلوم الشرعية والانسانية والاجتماعية. .

ويمكنهم أن يوفروا لهذه المؤسسات أحدث ما وصلت إليه التقنية الحديثة دون عناء يذكر.

إن إنفاق الأموال الطائلة في بناء المساجد الفاخرة لن يساهم في حل مشاكل الأمة، ولن يخرجها من أزمتها، فإن أعظم المساجد وأفخمها كان قائما تزدان به مدينة الآستانة يوم سقطت الخلافة، فما حمت الأبنية الشاهقة الخلافة من السقوط.

إن كرم الأثرياء ليس كافيا وإن كان مطلوبا. ولكن المطلوب الأجدى والأهم هو توجيه إنفاقهم وترشيده، وهي مهمة العلماء الرواد، فهم الذين يملكون قوة التأثير والاقناع.

فإذا انتقلنا إلى المستوى الجماعي، نجد أن فلاسفة الجماعات الاسلامية ومنظريها هم الذين يحملون مفاتيح الحلول، وهم الذين يقودون الركب، حيث تأثيرهم الفكري على كافة مطبوعات وصحف الجماعات التي ينظرون لها. بل إن كثيرا من الجماعات المعاصرة تقصر تلقيها على هذه المصادر الداخلية المحدودة، فتصبح بذلك مسئوليتهم مضاعفة، فهم مصدر العلم والفتوى، وهم حملة الرأي والحكمة، ولذا كان أول واجب منوط بهم أن يخلعوا عن أنفسهم هذه الجبة، وأن يصلوا ما بين الشباب وبين المصادر الأصلية مباشرة، من كتاب وسنة وفقه وتاريخ. وألا تستهويهم في أعناقهم، وعليهم أن يفتحوا أمامه النوافذ، وأن يقربوا ما بينه وبين الجماعات المتعددة في الساحة الاسلامية على أساس من حتمية تعايشها بل وتعاونها، لأنها ـ بتعدد اهتماماتها ـ يكمل بعضها بعضا، بدلا من تنشئته على أساس من التعالي على غيره باعتبار جماعته هي الأفضل والأكمل والأقرب فهما وتطبيقا للاسلام.

وعلى المستوى الجماعي أيضا، نرى أن الحركات الاسلامية المعاصرة مطالبة بإقامة جسور فكرية فيما بينها، ولن تعدم الوسائل لتحقيق ذلك. فصحافتها تستطيع أن تفسح مجال لحوار موضوعي يلتزم الأدب الاسلامي للحوار، ويستهدف تبيان وجه الصواب. لا انتصار رأي على آخر. والندوات المشتركة بين قادة الفكر في هذه الجماعات حول موضوعات محددة قد تساهم في إضعاف روح التعصب التي تجر إلى الفرقة.

ولن تنجح الجماعات الاسلامية في ممارسة الحوار فيما بينها إلا إذا نجحت أولا كل منظمة على حدة في ممارسة الحوار الفكري البناء داخل كوادرها وبين أبنائها. وكما تنشأ أجنحة يمينية ويسارية داخل الأحزاب السياسية، فكذلك تعودنا أن نسمع عن مدارس فكرية تنشأ داخل الجماعات الاسلامية المعاصرة. لقد خفت حدة الخلافات حول المذاهب الفقهية الأربعة والتي كان طابع النصف الأول من هذا القرن من الزمان. ولكن حلت محلها المدارس التي تحمل اتجاهات عامة، كاتجاه سلفي يقابل آخر صوفي وكاتجاه محافظ يقابله اتجاه آخر عصراني. . إلى غير ذلك مما يتطلب توفير مناخ للحوار داخل هذه الجماعات حتى تكون مدارسها الفكرية كسبا وإثراء للفكر، وليس فرقة وتمزيقا للصفوف.

فإذا ما انتقلنا إلى المستوى الرسمي، فإننا نجد أن المسئولية العظمى الملقاة التي كبلتها عقوداً طويلة. ولن نضيف جديداً إذا قلنا أن أمراض الانحراف والتطور تجد مجالها الخصب حيث القهر والفردية والتسلط وخنق الأنفاس. وأن الشباب المخلص المتحمس الذي تفقده الأمة الاسلامية في كل جولة من جولات الصراع بينه وبين السلطة إنما هو ضحية المعالجة الخاطئة لقضايا الفكر عن طريق أجهزة الأمن بدلا من أن يرعاها ويعالجها رجال الفكر وعلماء الأمة.

ولن نضيف جديداً إذا قلنا أن استمرار ثنائية النظم التعليمية، بين ديني وعلماني، لن يؤدى إلى خير. وستظل هذه الأنظمة تفرخ أجيالا من العلماء المنقسمين إلى فريقين، لا توجد بينهما لغة مشتركة. ولا يقوى أي فريق منهم بمفرده على مواجهة القضايا المعاصرة وإيجاد الحلول لها، على أساس من قيم الاسلام وشريعته. إن أزمة الريادة الفكرية للأمة الاسلامية مردها ـ في المقام الأول ـ إلى نظم التعليم الثنائية التي طال أمدها، وآن لها أن تذوب في نظام متكامل واحد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محي الدين عطية

● المراجع

1 ـ أبو السعود، محمود. «المفهوم السياسي للاسلام» **المسلم المعاصر**. س 4 : ع 16 (1398 هـ) ص ص 25 ـ 52.

2 ـ أبو سليمان، عبدالحميد. «إسلامية المعرفة وإسلامية العلوم السياسية» **المسلم**

المعاصر. س8: ع 31 (7/1402 هـ) ص ص 19 ـ 45.
3 ـ أبـو المجد، أحمد كمال. «بشائر نهضة إسلامية جديدة» العربي. ع 295 (8/1403 هـ: 6/1983م) ص ص 15 ـ 19.
4 ـ أبو المجد. أحمد كمال. «التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق مطلوب» العربي. ع 278 (1/1982م) ص ص 36 ـ 30.
5 ـ أبـو المجـد، أحمـد كمال. «الـدعوة إلى الاسلام وتحديات العصر» المسلم المعاصر. س ه: ع 19 (1399/1979) ص ص 5 ـ 28.
6 ـ أدريس، جعفر شيخ «في منهج العمل الاسلامي» المسلم المعاصر. س 4: ع 13 (1398/1978) ص ص 5 ـ 22.
7 ـ ادريس، جعفر شيخ. «مقابلة مع جعفر شيخ ادريس» مجلة الأمـل. (الولايات المتحدة الامريكية) 1404 ه/1984م.
8 ـ بن نبي، مالك. المسلم في عالم الاقتصاد. بيروت: دار الفكر، 1979 م، 112 ص. (مشكلات الحضارة: اصدار ندوة مالك بن بني).
9 ـ جلبي، خالص. في النقد الذاتي، ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1404هـ ـ 1984م، 312 ص.
10 ـ حيدر، خليل. «مستقبل الحركة الدينية» الوطن (الكويت) 84/6/16.
11 ـ خالد، خالد محمد. «أسباب أربعة للتطرف» العربي. ع 278 (82/1).
12 ـ خليل، حامد «إني أتهم الشعب» الوطن (الكويت). (1983/5/31).
13 ـ دسوقي، سيد ومحمود محمد سفر. ثغرة في طريق المسدود، دراسة في البعث الحضـاري. القـاهرة: دار آفاق الغد، 1401 هـ ـ 1981م، 100 ص. (سلسلة آفاق الغد).
14 ـ زكي نجيب محمود. العربي 1981/6).
15 ـ عبدالحليم محمد أحمد. «خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر» المسلم المعاصر. س 1: العدد الافتتاحي (1394/1974) ص ص 12 ـ 28
16 ـ عطية، جمال الـدين. «العمـل الاسلامي في المجـال السياسي» المسلم المعاصر. س 1: ع 4 (1395/1975) ص ص 5 ـ 9.
17 ـ عطية، جمال الـدين. «العمـل الاسلامي في المجـال السياسي» المسلم المعاصر. س 2: ع 5 (1395/1975) ص ص 5 ـ 9.
18 ـ عطية، جمال الـدين. «المتغيرات ومستقبـل العمـل الاسلامي» المسلم المعاصر. س 3: ع 12 (1397/1977) ض ص 5 ـ 14.
19 ـ عويس، عبدالحليم. «حول ظاهرة المؤتمرات الاسلامية ـ طريق جديد للمؤتمرات الاسلامية» المسلم المعاصر. س 4: ع 15 (1398/1978) ص ص 125 ـ 248.
20 ـ غراب، حازم. «الصحوة الاسلامية لماذا وإلى أين» حديث مع د. حامد ربيع. الأمة. س 4/ع 39 (3/1404 هـ ـ 12/1983م) ص ص 72 ـ 75.
21 ـ الغزالي، محمد. مشكلات في طريق الحياة الاسلامية. الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط 3، 1402 هـ، 151 ص (كتاب الأمة ـ 4).
22 ـ القرضاوي، يوسف. الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف. الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤن الدينية، 1402 هـ، 228 ص. (كتاب الأمة ـ 2).
23 ـ محرم، محمـد رضـا. «أفكـار الأخـرين» المسلم المعاصر س 8: ع 29 (1402/1982م) ص 7 ـ 64.
24 ـ المهـدي، صادق. «الصحوة الاسلامية ومستقبـل الـدعوة» الهـداية (البحرين) س 6: ع 63 (5/1403هـ ـ 3/1983م) ص ص 6 ـ 13، س 6: ع 64 (6/1403هـ ـ 4/1983م) ص ص 60 ـ 70.

تقرير

ريح صفراء تهبّ على المسلمين في فرنسا

الأستاذ أحمد البدوي

ـ أربعـة ملايين مسلم بفـرنسـا بحاجة إلى إطار شرعي واسع جامع.

ـ القوى الفكرية ـ المالية ـ السياسية الحاقدة تسعى بجد لاجهاض الجنين الاسلامي.

ـ اليمـين الصريح يتـزعم معـارك التخويف من المسلمين وطردهم.

ـ أهل الاحسان وسفارات العالم العربي الاسلامي مدعوون لتبني مشروع مركز راصد لما يطبع ضدنا.

* * *

تعتبر الأقلية المسلمة في فرنسا أكبر أقلية بهذا البلد بل وفي بلدان أوروبـا الغـربية إذ يتراوح عدد أفرادها ـ حسب الاحصـائيات المختلفـة ـ بين ثلاثة ملايين كأقل تقدير وأربعة ملايين ونصف كأعلى تقدير.

جل أبنـاء هذه الأقلية قادمون من المغرب العربي وتـركيا وإفـريقيا السـوداء. كما أن هنالك مالا يقل عن خمسين ألف مسلم فرنسي الاصل والجنسية.

أهم مشاكل هذه الجالية يمكن حصرها في النقاط التالية:

1 ـ إيجاد تعليم عربي ـ إسلامي حر يغطي المدن الرئيسية على الأقل كباريس وليون ومرسيليا وتولوز وليل . . .

2 ـ إيجاد هيئة وقف إسلامي تتسلم أوقاف وهبات وتبرعات وهدايا المحسنين وتستثمرها وتصرفها على التعليم وغيره.

3 ـ إيجاد صوت إعلامي صحفي ـ إذاعي ـ تلفزيوني يعلم ويزكي ويرفه بموازين الشرع ومستويات العصر.

ولا يختلف اثنان من عقلاء أهل القبلة أن كل هذا يمر عبر تركيز معاني الأخوة والمحبة والشورى سعيا وراء تأسيس هيئة إسلامية تضم أهم الشخصيات والجمعيات الداعية إلى الله. كما لا يختلف اثنان أن محاولات عدوانية كثيرة تتم الآن للحيلولة دون وقوف المسلمين بفرنسا على أقدامهم.

من هذه المحاولات المضادة للاسلام ما نشرته صحيفة (مينوت MINUTE) الأسبوعية (1) محذرة مما أسمته: (بخطر الاسلام والمسلمين على فرنسا). .

«وجود المسلمين يدفع إلى الحرب العنصرية». . .
في الصفحة الأولى وبأحرف كبيرة مثيرة طولها أربع سنتمترات جاء هذا العنوان الاستفزازي.

من يدفع إلى الحرب العنصرية؟ ـ حملة حقد في باريس والجزائر ـ المشروع الاشتراكيّ لتعريب فرنسا! وفي داخل الصحيفة، وتحت إشارة: خطيرة DANGER كتبوا: بعد عشر سنوات سيكون للمسلمين مليونان ونصف مليون ناخب.

قبل تفصيل النقاط الرئيسية الواردة في هذه المجموعة من المقالات أود تنبيه القارىء الكريم على أن هذه الصحيفة (مينوت) تأسست سنة 1962 أي سنة استقلال الجزائر وكان جل مؤسسيها ممن ساهموا بجميع الوسائل في الدفاع عن جزائر فرنسية غربية نصرانية مفصولة عن الاسلام والعربية إلى درجة أن أحد أقطاب التيار الذي تتبناه المجلة والمدعو جان ماري لوبان J. M. LE PEN (2) قال بالحرف: (حول القضية الجزائرية لو كان لي منصب الجنيرال ديغول وجهازه الحكومي لغيرت الجزائريين خلال عشرين سنة بقطعهم نهائيا عن أصولهم القرآنية) (3).

هذه هي الصحيفة (مينوت) وهؤلاء هم بعض رجالها ماضياً وحاضراً فماذا يقولون لنا اليوم؟

تحت عنوان (الذين يحضّرون للحرب العنصرية) كتبت الصحيفة افتتاحيتها معتبرة موضوع الاسلام والمسلمين في فرنسا من أولى الأولويات . . . ونسألهم لماذا؟ فيجيبون:

1 ـ لأن هوية أبناء المغرب العربي لا يمكن التعبير عنها والالتزام بها إلا بنفي الهوية الفرنسية ومحوها.

2 ـ ولأن هذا الرقم الهائل. . من المسلمين بإمكانهم زعزعة الأمن والاستقرار في فرنسا.

3 ـ ولأن هؤلاء المسلمين لا يمكن تذويبهم ASSIMILATION لاختلافهم الجذري عن الفرنسين على أصعدة الثقافة والدين واللغة والعادات والتقاليد. . .

4 ـ ولأن لينين قال (الطريق إلى باريس يمر عبر الجزائر) أي عبر استعمال الجالية المسلمة في إطار خطط الشيوعية الدولية.

5 ـ ولأن الدين الاسلامي يشمل السياسة أيضاً.

6 ـ ولأن الجالية المسلمة تعيش وضعاً مادياً دون المعدل العام بكثير مما يسهل مهمة اثارتها واستغلالها من طرف النقابات والحزب الشيوعي الفرنسي والمجموعات الارهابية. .

7 ـ ولأن فرنسا مهددة بحرب عنصرية أهلية مالم تجد حلا جذريا لتواجد المسلمين على أرضها.

وحول هذه النقطة الأخيرة لن أنسى ما قاله زعماء هذا «الفكر» في تجمع انتخابي بجنوب فرنسا حيث قال: (إننا إذا لم نخرج الأجانب (5) من بلادنا فسيحدث فيها ما يحدث الآن في لبنان من حرب بين المسلمين والنصارى حيث اختار الاوائل التعصب الديني والتحالف مع الارهابيين الفلسطينيين عوض المواطنة اللبنانية الجامعة بين جميع الطوائف).

بعد الافتتاحية تأتي المواضيع الأخرى وخاصة مشاركة المسلمين في الانتخابات (كطابور خامس يهدد فرنسا الحرية الديمقراطية) وهنا يشير الكاتب إلى أن حوالي ثلاثة ملايين ناخب هو العدد المرتقب لأبناء (6) المهاجرين ومن يتجنس من آبائهم في السنوات العشر القادمة. وقد رفع هذا الرقم إلى مكتب وزير الداخلية المتواطىء ـ حسب زعم الصحيفة ـ مع المسلمين في غزوهم السلمي والتدريجي لفرنسا!!.

وتشير الصحيفة إلى تقرير سري رفعه الأستاذ جاك بيرك Jacques Berque إلى وزير التعليم جان بيير شوفينما J. P. Chevenement مفاده أن الحكومة الاشتراكية الحاكمة تسعى إلى تأسيس مجتمع فرنسي متعدد الثقافات والأجناس Société : multi-raciale et multi-culturelle يغير تصورات الفرنسيين بدل تغيير فكر الأجانب مما سيؤدي إلى سيطرة الثقافات الاسلامية ـ المتوسطة Cultures Islamo-méditerraneénne.

★ **كل منفر من الاسلام جائز ذكره...**

وفي إطار استعداء القارىء العادي على كل ما هو عربي ـ إسلامي ولنسف كل حوار موضوعي نزيه بين المسلمين وبعض المسؤولين والمثقفين ورجال الدين المسيحي تستدعي (مينوت) احتياطي المصطلحات والافتراءات الاستشراقية ـ الصليبية حول المرأة في الاسلام وتعدد الزوجات والقوامة والجواري والرق وتقول: (أبلغوا هذا إلى السيدة ايفات رودي Yvette Roudy وزيرة حقوق المرأة في الحكومة الاشتراكية الفرنسية) وتحذر الفرنسيات من الزواج بالمسلمين وتدعوهن إلى كثرة الانجاب مواجهة منهن «للضغط الديمغرافي الاسلامي» La pression démographique musulmane وتستشهد بقول البرلماني الديغولي الأسكندر سانغينيتي: (بعد عشرين سنة سيكون على ضفتي الأبيض المتوسط مغربيان مقابل فرنسي واحد... وإذا استمر نسلنا في الانحدار فإن نساءنا سيصبحن جواري للمنتصرين... وذلك بسبب عدم انجابهن للذكور).

وتختم الصحيفة حربها الاعلامية هاته مذكرة القراء بالمعاني الاستفزازية الاتية:

● 1) الاسلام يستغل الفراغ الروحي الموجود للسيطرة على فرنسا.

● 2) مبادىء الاسلام وعقائده ومحرماته وشريعته كل لا يتجزا وهي إما ان تسود على انقاض الثقافة الفرنسية أو تنمحي ولا مجال لحلول وسطى متناقضة ومستحيلة..

● 3) الاسلام دين صارم قهري قمعي لم يخف سيفه البتار حتى الآن وهو يريد اخضاع العالم لعقيدة محمد(7).

● 4) نسبة السجناء العرب بفرنسا هي 10٪ بينما لا تتجاوز نسبتهم إلى السكان خارج السجن (8، 2٪)..

إن تخويف الشعوب الأوروبية من العالم الاسلامي وأبنائه المنتشرين هنا وهناك طلبا للرزق أو للعلم أو للأمن أو لكل ذلك ظاهرة خطيرة تستحق الاهتمام والمتابعة والرصد والتمييز.. ومجرد متابعة ذلك باقتناء كبريات الصحف والمجلات والدراسات والبحوث وحضور مختلف المحاضرات والندوات والحملات يحتاج إلى العصبة أولي العزم من شبابنا الجامعي المزود بالخبرة والايمان والمال.

وحبذا لو اجتمعت سفارات العالم الاسلامي أو دول المغرب العربي على مثل هذه الأمور العلمية البحتة خاصة وان الأطر الأكادمية متوفرة.. والمال أوفر.

إن من أهم ما يحتاجه العالم الاسلامي حكومات ومؤسسات وشركات.. رصد مختلف تحليلات الغرب وتعليلاته لطبيعة حاضر ومستقبل الصلة بين عالم الغرب وعالم الاسلام.

إن الغـرب جاهـز جاهـد في محاولة تأصيل منهج للتعـامل معنا فهل تبقى صلتنا به محكومة دائمة بمجرد الاستهلاك السلبي والارتجال والمزاج وردود الفعل المتأخرة والغثائية؟

لقـد علمنـا القـرآن الكـريم وسنة المصطفى ﷺ وأعمال السلف الصالح أننا أبناء أمة منهجية في تفكيرها وتعبـيرهـا وسلوكهـا لا نبني الأحكـام إلا على أسـاس تصورات مشهود لها بالصحة؛ في المحاكم حيث يتقاضى الناس كما في الاعلام حيث يستمعون في المساجد كما في المصانع والجامعات.

فمتى يتم تحريك الخبرة والمال والأمانة في هذا الاتجاه؟؟؟

● الهوامش ●

(1) انظر العدد رقم 1206 بتاريخ 18 ماي إلى 24 ماي 1985 وكلمة (مينوت) تعني دقيقة.

(2) جان ماري لوبان هو زعيم حزب الجبهة الوطنية كان ضابطـاً بالجيش الفـرنسي بالجزائر، ساهم في تعذيب المجاهدين ويفتخر بذلك له عضوية بالبرلمان الأوروبي بمدينة سترازبورغ... حزبـه ينمـو لمطالبتـه بإخـراج العرب من فرنسا... يتراوح عدد المصوتين لصالحه بين 8 و11٪.

(3) التصريح منشور في صحيفة ليبراسيون (LIBERATION) البـاريسية اليـومية عدد 1163 بتـاريخ 14ـ2ـ85 الصفحة رقم 6.

(4) يلزم التنبيه هنـا إلى أن التيار الـذي تمثله صحيفـة (مينوت) يعتبر الاسلام والشيوعية في نفس الدرجة من الخطورة على أوروبا الغربية.

(5) الأجانب كلمة تعني عندهم العرب والمسلمين.

(6) القـانـون الفـرنسي يعتبر كل من ولد في فرنسا فرنسياً وبالتالي فإن أبناء العمال المهاجرين فرنسيون الجنسية.

(7) يكتبـون اسم المصـطفى سيدنـا محمـد ﷺ بالطريقة الاستشراقية الصليبية القـديمـة MAHOMET اثارة لذكريات الاحقاد مع أنهم يعلمون أن الكتابة العالمية اللاتينية لهذا الاسم الشريف هي : MUHAMMED.

أحمد البدوي.

دراســـة

وقفات مع محمّد أركون من خلال إنتاجه وفكره

الأستاذ محمد بريش

«إني لست قطعـا بالخبير في الفكـر الاسلامي المعاصر، ولا أريد أن أكون كذلك، هناك أكثر من عمل في الاهتمام بالماضي ويلزمني أعمار متعددة للاطلاع عليه. وعلى الخصوص، فإن الذي لا أحب عند أغلبية المفكرين المسلمـين المعـاصرين، هو ذاك النـوع من الانتحـال، أحيـانـا تافه جدا، لفكر ليس بالاسلامي بتاتا ولا هو بالعربي، والذي يعتبر آخر طراز في أروبا. وبكثرة في باريس.»

روجيه أرنالديز (1)

مدخل

«إن انغماس الجماهير في الحركات الصوفية، والذي كان موضع استهجان وازدراء من المثقفين العلمانيين، ظاهرة، فشل المثقفون في فهم أسبابها ودواعيها. وكذلك فإن عودة الجماهير إلى الدين بأعداد كبيرة، وفي مختلف أقطار الوطن العربي، وخصوصا بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967، لم يستطع المثقفون أن يتنبأوا بها قبل حدوثها، ولم يستطيعوا فهم دلالتها ومغزاها. وبعبارة مختصرة: إن سلوك الجماهير سواء إزاء الموروث أو الوافد لم يكن أبدا موضع دراسة حقيقية من قبل المثقفين.» (2). هذه العبارة الصادرة عن أحد المثقفين العرب الذين يعيبون على الفكر العربي والثقافة العربية «غياب المشروع العلماني البديل الذي سيحقق إشباع الحاجات الأساسية للجماهير» (3)، تفسر لنا الاهتمام المتزايد الذي يوليه عدد من هؤلاء المثقفين للاسلام والدعوة الاسلامية، بعد أن كانوا بالأمس القريب يتذبذبون بين الدعوة إلى العلمانية والحث على اختيار المادية التاريخية كنهج «فكري ثوري» سيتيح للشعوب العربية الخلاص من قيود التخلف والخروج من ظلمات الجهل التي ساهمت في صنعها «العقائد الدينية» إلى عالم التقدم والعلم في رحاب المادية «والتحرر الفكري والثقافي» العلماني.

نفس العبارات نجدها عند كثير من المثقفين العرب المعاصرين، بصورة أكثر أو أقل حدة، لكن كلها تعبر عن نفس المبتغى وهو الاهتمام بالاسلام والفكر الاسلامي لاعادة النظر فيه وقلب موازينه وفصله عن الغيبيات وتفكيك أجزائه لاخضاعها لعمليات البحث «التاريخاني»، وترك العبادة جانبا، لدراسة حقيقة الدين الاسلامي بعيداً عن الأحاديث النبوية ومقولات العلماء الفقهية، وللعمل على تغيير فكر المجتمعات البشرية التي تشكل الدعامة الأساسية لاستمرار الحركات الاسلامية «التقليدية»... بعض هؤلاء المثقفين لا يخلو من حسن في النية وصدق في القول، لكن جلهم متفقون على الدعوة إلى ثورة شاملة تهز فكر العالم العربي والاسلامي رأسا على عقب مطالبين بعدم ترك الاسلام بأيدي الشيوخ و«علماء الدين». وإذا اقتصرنا على المغرب العربي، فإنه يمكننا تقديم الأمثلة التالية:

● د. محمد أركون: «إن اقتحام الاسلام لخشبة المسرح باعتباره قوة تعبئة للجماهير لم يتخذ موضوعا لتحليلات نظرية جادة، واعتقد أننا نتوفر هنا على مادة جديدة لنراجع مقارباتنا وتعريفاتنا للظاهرة الدينية بصفة عامة... **إن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية في الوقت الحاضر لتبيح لنا الكلام عنه علميا ولنستطيع القيام بتلك القفزة النظرية التي لا تتردد بأن نجزم أن الأديان ما هي إلا إيديولوجيات**» (4).

● د. محمد جسوس: «في هذا المجهود لاعادة التفكير والتخطيط للمستقبل، أتمنى أن تتاح الفرصة لكي نبدأ لأول مرة بالطرح العلني والعقلاني للعديد من القضايا الأساسية التي تتخبط فيها المجتمعات العربية، والتي أعتقد أنه لا الحكم ولا الطبقات الحاكمة ولا المسار التاريخي، ولا اليسار العربي، بما فيه طليعة الطليعة، قد بدأت تطرح النقاشات حولها حتى بطرق لينة ومتواضعة. هناك ما اقترحت تسميته بالقارات العربية الثلاث التي مازالت غائبة ومغيبة، مجهولة، خفية ومستترة، نتحدث عنها في الخفاء أو ندعي أننا نتحدث عنها ولا نحللها، بل ليست لنا مواقف منها ولا مخططات.

أعتقد أن جزءاً كبيراً من الاحباط والانكسار الذي حدث لليسار العربي يرجع إلى عدم شمولية نظرته، عدم شمولية استراتيجيته وممارسته. هذه القارات الكبرى الثلاث هي: الاسلام، الجنس، والسلطة، أولى تلك القارات الغائبة والمغيبة هي الاسلام باعتبار **أن الاسلام كان ولا يزال مركز الشرعية الأول والأخير بالنسبة للأغلبية الساحقة من الجماهير العربية التي نتعامل معها، وأن كل الطروحات الايديولوجية الأخرى لم تتمكن من الحصول حتى على بصيص من الوفاء والالتزام الذي أمكن الوصول إليه عن طريق الاسلام. في حين أننا تركنا الاسلام في يد المشعوذين والمتطفلين والمنافقين وشيوخ الزوايا ومنعدمي الضمائر، وأن هذا الانفصام بين الثقافة السياسية وثقافة الجماهير قد أصبح من أخطر مكونات الأزمة الراهنة**. لقد حان الوقت لكي تطرح علنا، بدون لف ولا دوران، مسألة موقف اليسار العربي من الاسلام ومختلف مكونات الاسلام، فلا نكتفي بمنطق المناورات والتعامل التاكتيكي معها في أحسن الأحوال، وبمنطق الانتهازية والشطارة والتحليل في أسوئها، فلا يكفي أن

نستشهد فقط بالاسلام، وفي نهاية الأمر نحوله إلى مجرد سلعة ونتعامل معه بصفة أدواتية وانتهازية لا تختلف عن تعامل ما سميته بالمشعوذين والمتطفلين.» (5).

● د. هشام جعيط: «لا وجود للشتات في الاسلام العربي. إن الاسلام كما بينه شبنغلر جيدا، «له تربة تحت أقدامه». إن قدرته الهجومية المشكلة لكيانه تحميه من كل تحطيم قادم من الخارج، . . . الاسلام لا يمكن أن ينزل منزلة موضوع تلاعب. . . الحقيقة أننا منذ عهد التنوير الأوروبي نمر بواحدة من تلك المراحل فوق التاريخية حيث يستعد الانسان لمصير جديد محدد، بعد أن تخلص لا محالة من ثقل المجهول الأزلي. لكن إلى أن يأتي ما يخالف ذلك، فالاسلام باق بالنسبة لملايين البشر بمثابة جواب صالح لقضية الموت وأس للسلوك الاخلاقي والاجتماعي، أكثر من المسيحية، لكونه يتحرك في مجال ثقافي أقل تطوراً. ولذا فإن مستقبلنا سيندرج في جدلية ذات الشيء وخلافه. لسنا بمتغربين ولا مغتربين، ولذا علينا أن نفصل حداثتنا في نسيج كيانيا، إذاً نحن مجبورون على ذلك لا محالة. لقد قضي علينا بالتحرك في دائرة الانتماء العربي الاسلامي لثقل معطياتنا التاريخية بالذات. وذلك مهما كان الشكل الذي نريد إضفاءه عليهما، ومهما تخيلنا من دور لهما. وبذا يتداخل التعبير الفردي عن إنسانيتنا، والاطار الشكلي على الأقل للكيونية التي نطمح إليها. وبعبارة أخرى، فتجاوزاً للنرجسية والمركزية العريقة والقومية من جهة، إنا لا نعتبر العروبة غاية قصوى لمصيرنا وقيمة في حد ذاتها. ومن جهة أخرى فنحن لا نقبل أن يكون الاسلام الأس الوحيد للأخلاق والمجتمع، والمحرك الأساسي الفعلي للعبة الاجتماعية، فارضا قواعده الدينية وما يرتبط بها من فروض في العادات والقضاء، كما كان الأمر في الدولة الخاضعة للحكم الالاهي في العهد الوسيط وكما هي الحال في بعض الدول المعاصرة سواء كان حكمها تيوقراطيا أم لا. وعلينا تحمل تراثنا الثقافي والروحي وإحياؤه. وعلى مستوى أكثر عمقا، علينا أن نشعر بأننا مستمرون من حيث التاريخ في عمل كل الذين شيدوا الحضارة العربية الاسلامية والذين قاسوا من أجل الهوية التي منحتها لهم، وأخيرا أن نفصل تطورنا في نسيج هذه الهوية التي استرجعناها واستبطناها، حتى لا نحس بها كقوة إكراه خارجية فرضت علينا فتحملناها.» (6).

هذه العبارات تعكس حدة الأزمة التي تعيشها النخبة المثقفة اليسارية في العالم العربي تجاه الدين الاسلامي والتراث العربي الاسلامي (7)، تلك الازمة التي تجسد الصراع الدائر على الساحة الثقافية العربية بين مختلف المذاهب السياسية لاكتساب العدد الأكبر من الجماهير والبزوغ بثقل على بساط الساحة. والصراع هذا يجد أصوله وجذوره في بداية الحقبة التاريخية المصطلح على تسميتها «باليقظة العربية»، أي تلك الفترة التي انتبه فيها العقل العربي من سباته تحت الضغط القوي والمؤلم لأقدام المستعمر.

والمطلع عن كثب على ما يجري من أحداث على الساحة الثقافية يمكنه أن يستنتج دون صعوبة أن رحى الحرب فيها تدور على واجهات ثلاث تمثل كل منها «إشكالية» تستدعي بالنسبة للمثقفين «المتبارزين» بحثا وتحليلا واتخاذ موقف، ومرتبطة ارتباطا عضويا يصعب معه فصل إحداها عن الأخرى. هذه «الاشكاليات» الثلاث هي:

■ **المدارس السياسية والفكرية الغربية والشرقية بشقيها** الليبرالي الديمقراطي والاشتراكي الماركسي ومدى صلاحيتها للتطبيق في العالم العربي الاسلامي لتشخيص مشكلاته وتفسيرها وتقديم حلول عملية لها ترضاها الجماهير وتؤمن بها.

■ **«التراث العربي الاسلامي»** بمافيه الوحي الالاهي (الكتاب والسنة) بالانكباب على تحديد واضح لمفهومه ووظيفته واتخاذ موقف منه ينطلق إما من كون الكتاب والسنة وحياً إلاهياً سماوياً لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، وإما من كونهما إرثا ورصيدا تاريخياً ثقافياً وحضارياً ليس غير.

■ **الواقع العربي المعيش وكيفية التعامل مع مشاكله** المعاصرة كالتخلف والتبعية والغزو الفكري والثقافي الغربي والتحدي الصهيوني وغياب الوحدة بين الحكومات العربية في المواقف السياسية وانعدام الحرية في عديد من البلدان العربية وغيرها من المشاكل التي أثقلت الدراسات والأبحاث والمراسلات حولها رفوف مكتبات وأرشيف الجامعة العربية.

وازداد حجم هذه الاشكاليات أو الواجهات وتراكمت التساؤلات حولها بعد أن أحس مثقفو اليسار العربي أن انشغالهم بالثقافة السياسية، واستيرادهم لمفاهيم ومعطيات المدارس الفكرية الشرقية والغربية في شكلها الخام وصبهم لها على الواقع العربي، وأخذهم من الدين الاسلامي موقفا غامضا يعارض أكثر مما يساند، وبعد أن أدركوا أن ابتعادهم هذا جعل الهوة بينهم وبين الجماهير التي يصرحون أنهم يعملون من أجلها تتسع وتزداد، في حين أن الثقافة الاسلامية في شكلها الشعبي من مواعظ دينية ودروس فقهية بالمساجد والدور الثقافية وشكلها الأكاديمي من خلال المقالات والنشرات بالصحافة الوطنية والدولية أو الابحاث والدراسات من خلال الندوات والمحاضرات في اللقاءات الثقافية أو المؤتمرات الفكرية من طرف جهابذة الفكر الاسلامي والدعاة الاسلاميين المعاصرين، تكسب الأنصار تلو الأنصار وتكتسح الساحة بعودة فئات كبيرة من الشعوب العربية الاسلامية إلى ممارسة شعائرها الدينية مع إيمان كبير ويقين صادق واستعداد لنصر الملة الاسلامية والذوذ عن الشريعة المحمدية.

وإقبال هذه الفئات على تجديد إيمانها واخلاص الدعاة لها وصدقهم في دعوتها جعل مثقف اليسار العربي يحار بين نظريات تفجر الثورات وتحرك الشعوب على مسودات الكتب وصفحات الجرائد والمجلات، وبين واقع معيش يعكس تشبث تلك الشعوب بدينها والتفافها حول شريعة نبيها وسرعة تأثير دعوة الاسلام فيها. فتأكد لغير واحد من أمثال هذا المثقف الحائر أن المدارس الفكرية المادية والليبرالية ليست دواء ناجعا لكل مشاكل العالم العربي الاسلامي بحكم أنها تفترض قبل قيامها، كل حسب ايديولوجيتها، «تكوين تقليد للتفكير والكفاح، وطليعة واعية يحركها إيمان قوي، ومسيرة طويلة إلى الحكم، فضلا عن ظروف تاريخية ملائمة. وإلا يكون ذلك جدلا لفظيا وذريعة لطموح طائفة تغطي ولعلها تعمق النقائص الهيكلية الدائمة» (8)، وأن الشعوب الاسلامية المخاطبة بفكر تلك المدارس الغريب عن تراثها وأصالتها والمعاكس لطموحاتها وآفاق مستقبلها لا ترغب في الابتعاد عن دينها وعقيدتها لكون هذه العقيدة علاوة على صدقها وحقيقتها لا تقف معارضا لركب الحضارة وليست عائقا في طريق النهوض بالأمة نحو التقدم والرقي بقدر ماهي المحرك والدافع لمجهودات ومقدرات هذه الأمة نحو الحضارة الراقية والازدهار المستمر. ولتأكدهم هذا مرق العديد من مثقفي اليسار من صفوف تكتلاتهم الحزبية ومدارسهم الفكرية وأقبلوا على دراسة الاسلام ليعيدوا نظرتهم إليه بعيدا عن الآراء الاستشراقية والافتراءات المعادية.

وأمام هذا المروق الذي أحدث الصدع في التكتلات الثقافية القائمة، ومناصرة عدد من منظري التجمعات اليسارية العربية للدعوة الاسلامية إن سرا وإن علنا، وتصريح باقيهم بالخوف من هذا الانتشار الكاسح للشريعة الاسلامية والملة المحمدية بين صفوف الشباب بالمدارس والجامعات، بل إعلان بعضهم أنهم يعيشون فترة مخاض فكري تنبىء عن انقلاب على الأفكار المادية أو الليبرالية وتبشر بالعودة إلى الاسلام قولا وعملا، ولوضع حد للازمة المشار إليها بحسم الصراع الدائر حول المواقف الثلاثة السابق ذكرها، عكف عدد غير يسير من المخلصين لمذاهبهم السياسية والموفون بالتزاماتهم تجاه أساتذتهم في جامعات ومدارس الكتلة الشرقية أو الغربية على تحرير مشاريع ثقافية وإعداد برامج فكرية «نهضوية» لاعادة تشكيل العقل العربي وبالتالي إعادة تأريخ الفكر العربي الاسلامي، تنقسم في معظمها إلى قسمين (9):

● قسم يرى ضرورة تبني الأفكار المادية واقتباس المناهج الاشتراكية الماركسية للخروج بالفكر العربي من أوضاعه المتردية الراهنة، ويرى ضرورة البدء بإعادة كتابة التاريخ على ضوء مناهج المادية الجدلية،

● وقسم يرى أن تبني الأفكار المادية أو غيرها من أفكار المذاهب السياسية المعاصرة يستلزم المرور من مرحلة تاريخية وفكرية تتم فيها علمنة الشعوب العربية الاسلامية وجعل إيمانها بعقيدتها الاسلامية وعملها بشريعتها المحمدية ينقلب إلى تقديس لتلك العقيدة كإرث حضاري وثقافي إنساني، وتعظيم من طرفها لتلك الشريعة كعطاءات فكرية بشرية تحمل في كيانها عناصر ثورية إذا ما قورنت بزمانها وفترة تاريخها. . ، ثم سلخ ذلك التقديس وذلك التعظيم عن كل إيمان بالدار الآخرة.

وإذا كان القسم الأول قد تناولته أقلام بعض

المفكرين الاسلاميين المعاصرين بالبحث والتحليل، وتجلى للعيان مضمونه وأهدافه، وأساليبه ووسائله، فإن القسم الثاني، بحكم تستره بستار الدعوة لتجديد الدين وإحياء علومه وفنونه وإعادة قراءة تراثه وكتابة تاريخه، لم ينل حظه من الدراسة ولم تسلط عليه الأضواء بالقدر الكافي الذي يجعله بارزا وواضحا لا غبار عليه خاليا من كل أثر للتمويه أو التزييف.

من هذه المشاريع مشروع «إعادة القراءة للقرآن» للدكتور محمد أركون، وهو مشروع جزئي يدخل ضمن مشروعه العام المتعلق بإحياء جديد لعلوم الدين على ضوء ما استجد من علوم في ميدان الآداب والعلوم الانسانية كالألسنية والبنيوية والانتروبولوجيا وغيرها. وحسب ما وصل إليه علمنا فإن مشروع محمد أركون لم يتناول بالبحث والتحليل أو النقد والدراسة لا من طرف المفكرين الاسلاميين ولا من طرف المفكرين اليساريين أو العلمانيين بشقيهم الليبرالي والاشتراكي الماركسي، وإنما اكتفي بتمجيده والاشادة به وترجمة بعض مقالاته ونصوصه في بعض المجلات والدوريات العربية.

لذا، ولخطر هذا المشروع على مستقبل الدراسات الاسلامية بجامعاتنا العربية، ولفتح نافذة على التيارات المعاصرة الراغبة في قلب الدين رأسا على عقب (10)، رأينا أن نقوم بجولة في أروقة القاعة الفكرية المجسدة لفكر ومشروع الدكتور محمد أركون والوقوف على بعض آرائه ومقترحاته ومدى صلاحيتها لتجديد الدين وإحياء شرعه القويم.

وسينقسم بحثنا إلى أربعة فصول هي:

1) الفصل الأول: **من هو محمد أركون؟** وفيه سنعرِّف بصاحب المشروع وبمؤلفاته وبعض ما قيل فيه وكتب حوله.

2) الفصل الثاني: **لماذا محمد أركون؟** وسنتناول فيه الأسباب التي دعتنا لدراسة مشروع محمد أركون دون بقية المشاريع المقترحة والمتداولة بالساحة الثقافية.

3) الفصل الثالث: **ماذا يريد محمد أركون؟** وفيه سنعطي نظرة موجزة عن الغاية من المشروع والأهداف التي يرمي إلى تحقيقها.

4) الفصل الرابع: **أركونيات**، وفيه سنورد بعض الفقرات من مقالات وكتب محمد أركون لاستكمال جولتنا في أروقة نتاج فكره ومشروعه.

● **الهوامش** ●

(1) «الأوجه الاجتماعية والدينية للانسية الاسلامية»، وهو بحث شارك به المستشرق روجي أرنالديز، أستاذ كرسي الفلسفة الاسلامية والاسلاميات سابقا بجامعة باريس الرابعة، في اللقاء الثقافي الذي نظمه المجمع اليهودي الدولي - فرع فرنسا - في نوفنبر 1977 والذي كان موضوعه: «الأمة الاسلامية». ويعني أرنالديز بالمفكرين المسلمين المعاصرين خاصة أولئك الذين حصر نشاطهم في عبارته بباريس، ومنهم الدكتور محمد أركون والدكتور عبد المجيد تركي وغيرهما من المفكرين المقيمين بفرنسا والقاطنين أو المدرسين بجامعات باريس، والمفكران المشار إليهما شاركا في اللقاء المذكور ببحثين وسنشير إلى بحث أركون منهما بشيء من التفصيل في الفقرة المعنونة: «لماذا محمد أركون؟».

"ASPECTS SOCIAUX ET RELIGIEUX DE L'HUMANISME MUSULMAN" par **Roger ARNALDEZ,** professeur de philosophie musulmane et d'islamologie à l'Université de Paris IV, **"COMMUNAUTE MUSULMANE"** Presses Universitaires de France, 1978, page 51 et 52.

(2) يسين السيد، مدير الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، والمقولة التي أوردناها مقتبسة من عرض قام به لصالح مجلة «المستقبل العربي» حول ندوة «التراث وتحديات العصر في الوطن العربي» التي عقدت بالقاهرة ما بين 24 - 27 سبتمبر 1984، والتي شارك فيها محمد أركون موضوع مقالنا ببحث معنون: «التراث: محتواه وهويته، ايجابياته وسلبياته». المستقبل العربي، العدد 69، نوفنبر 1984، ص 160.

(3) المرجع السابق.

(4) العبارة وردت ضمن مقابلة مطولة أجراها محمد أركون مع رئيس تحرير مجلة هيرودوت **Herodote** الفصلية والمتخصصة في الجغرافية السياسية «إيف لاكوست»، نشرتها المجلة المذكورة في عددها الخاص بالجغرافية السياسية للعالم الاسلامي وقامت بنقل بعض فقراتها إلى العربية مجلة «الوحدة» الصادرة عن المجلس القومي للثقافة العربية، عدد 6، مارس 1985 ص 152 - 153.

(5) «أزمة المجتمع العربي وأزمة اليسار» محمد جسوس، وهو بحث شارك به في الندوة التي نضمها «منتدى الفكر والحوار» بالرباط ما بين 22 و24 نوفنبر 1984، نشر نص البحث في الملحق الثقافي لجريدة «الاتحاد الاشتراكي»، العدد 54، الأحد/الاثنين 2 - 3 دجنبر 1984، وفي مجلة «الوحدة»، عدد 6، مارس 1985، ص 21. وتجدر الاشارة إلى أن هذا البحث يعكس تحولا جذريا في فكر الدكتور محمد جسوس، وهو جدير بالقراءة.

(6) الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي، د. هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، مايو 1984، ص 102 و103.

(7) لدراسة أسباب هذه الأزمة ومظاهرها وطرق علاجها يمكن مراجعة الكتاب الأخير للدكتور محسن عبد الحميد: «أزمة المثقفين تجاه الاسلام في العصر الحديث»، مكتبة أسامة بن زيد - الرباط 1405/1985.

(8) د. هشام جعيط، الكتاب السابق، ص 103.

(9) ظهرت في السنوات الأخيرة عدد من مشاريع الدراسة وإعادة القراءة للدين الاسلامي والتراث العربي الاسلامي تقترح مناهج فكرية مادية أو ليبرالية أو علمانية أو يسارية غير محددة المعالم لاعادة النظر في الموروث الثقافي بما فيه الوحي الاسلامي وصياغة كتابة تاريخه من جديد، [يحتاج التاريخ العربي الاسلامي إلى إعادة قراءة وتدوين لتنقيحه من الدخن وإزاحة الأباطيل والشبهات عنه، والساحة الثقافية الاسلامية ما زالت تفتقر إلى مشاريع إسلامية معتمدة على برامج علمية للقيام بهذا العمل اللازم لتجديد الدين الاسلامي والفكر العربي الاسلامي]. من ضمن المشاريع الثقافية اليسارية المطروحة على الساحة:

● مشروع الدكتور طيب تيزيني، أستاذ جامعي سوري، والذي سماه: «مشروع رؤية جديدة للفكر العربي منذ بدايته حتى المرحلة المعاصرة»، وهو مشروع يعتمد الماركسية كمذهب والمادية التاريخية كمنهج، ينوي صاحبه إصداره في إثنى عشر جزءا، صدر منها حتى اليوم جزءان، خصص الجزء الأول منها لعرض النظرية المقترحة في قضية التراث العربي. وللدكتور تيزيني أفكار وآراء في قضية التراث لا يوافقه عليها عديد من الماركسيين العرب علاوة على غيرهم من مفكري المذاهب السياسية الأخرى.

● مشروع الدكتور حسين مروة، باحث لبناني، والمعنون: «النزاعات المادية في الفلسفة الاسلامية»، صدر في جزءين ابتداء من 1978، وهو موضوع رسالة دكتوراه ناقشها الباحث في جامعة موسكو، وقد نشرت دار الحداثة للطباعة والنشر ببيروت كتابا ضم أغلب المقالات والمناقشات التي تناولت مشروع طيب تيزيني ومشروع حسين مروة بالبحث والدراسة من قبل مثقفي اليسار أنفسهم، وعنوانه «الماركسية والتراث العربي الاسلامي»، الطبعة الأولى 1980

● مشروع الدكتور حسن حنفي، أستاذ جامعي مصري، سبق له أن درّس في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، عنوان مشروعه: «التراث والتجديد» يقول عنه إنه سيشمل ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: موقفنا من التراث القديم وفيه 8 أجزاء،
- القسم الثاني: موقفنا من التراث الغربي وفيه 5 أجزاء،
- القسم الثالث: نظرية التفسير وفيه 3 أجزاء،

صدر حتى الآن من هذا المشروع كتاب واحد بعنوان «التراث والتجديد»، وهو عبارة عن مقدمة للمشروع - دار التنوير للطباعة والنشر - الطبعة الأولى 1981، علما بأن للباحث كتبا أخرى تناول فيها الموقف من الفكر العربي المعاصر والفكر الغربي المعاصر ودراسات في علم أصول الفقه وعلم أصول الدين والفكر الاسلامي المعاصر. وتجدر الاشارة إلى أن الدكتور حسن حنفي هو أحد أبرز منظري ما اصطلح على تسميته «باليسار الاسلامي»، وله بحث في هذا الباب عنوانه: ماذا يعني اليسار الاسلامي؟ كما أصدر مجلة عنوانها «اليسار الاسلامي» (صدرمنها عدد واحد فقط). ولمن أراد مزيدا من البحث في نقد مشروع باحثنا فليرجع إلى كتاب «ظاهرة اليسار الاسلامي» لمحسن الميلي - مطبعة تونس - قرطاج - أكتوبر 1983 وهويتناول الظاهرة من وجهة نظر إسلامية، ومقال الدكتور فؤاد زكريا بعنوان «مستقبل الأصولية الاسلامية»، مجلة فكر، العدد 4، دجنبر 1984 ضمن ملف عن «الفكر الديني والفكر العلماني»، ص 16 - 50 وهو يتناول الظاهرة من موقع علماني.

● مشروع الدكتور محمد عابد الجابري، أستاذ جامعي مغربي، الذي بدأه بكتابه «نحن والتراث» وأعقبه بمحاولته الأخيرة «نقد العقل العربي»، صدر منه الجزء الأول: «تكوين العقل العربي» - دار الطليعة - بيروت الطبعة الأولى 1984، وهومشروع ينطلق من منهجية مادية، لكن مختلفة عن منهجية طيب تيزيني أو حسين مروة ومعتمدة على أفكار المدارس الفكرية الفرنسية الحديثة في ميدان العلوم الانسانية كالأبستمولوجيا والبنيوية وغيرهما...

● مشروع الدكتور محمد أركون وهو موضوع بحثنا هذا.
كما أن هنالك عددا آخر من مشاريع الثقافة كمشروع الدكتور غالي شكري وغيرها لم نر ضرورة لذكرها.

(10) يقول أمير الشعراء شوقي في مثل هؤلاء الدعاة المجددين:

لا تحذ حذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم أمر منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ساع في القديم وهدمه ... وإذا تقدم للبناية قصّرا

في العدد المقبل: من هو محمد أركون؟

شـعـر

بشارة أم خسارة؟

أبو محمد

في زمان الضياع والتعب وفي وقت اختصار واختزال وتقليص الانسان والاستغناء عنه.

وفي مولدي كان اسمي بشارة
شفاه تقبلني بحرارة
صدور تعانقني
زغاريد تشدو وتهتف بي
ويبسم عن شفتيه أبي
ويعشق داره
وأمي تضحك ضحك النجاة
تدلل في خدرها كالأميرة
تتيه أمام أبي كالصغيرة
أتت بي من بعد سبع بنات
هي الآن تعرف فرحتها بالولادة
وفي قلبها نشوة بالأمومة
هي الآن تعرف معنى السعادة
وفي عينها دمعة مستطابة
وفي فمها دعوة مستجابة

وفي بيتنا عم ضوء الفرح
أنيرت سروج وساد المرح
وجيء إليه بذبح عظيم

* * *

حكت جدتي أني كنت شرارة
وفي الحي كنت أقود صغاره
وتحكي معلمتي فتقول
ذكاؤك حير كل العقول
سبقت به كل طفل سؤول
وكنت زعيمهم في الوصول
وكنت مغنيهم في الحقول

* * *

وسالت مراكب بي في الحياة
أخذت الأعنة أخذ الغزاة
دعتني مناي لدرب طويل
فأعددت زادي شددت الرحيل
أعيش مع الليل في سهره
أنا في النجوم على وتره
تراءى جمال لها في الحروف
يشع ضياء بزيح السجوف
وعلمني الليل عشق الكتب
فكنت أراقصها في طرب
وألثم مبسمها في جنون
وأتبع خطوتها في سكون
فطورا أكوى بحاناتها
تغنى وأشجو بآهاتها
وطورا أصلي بمعبدها
فتكشف لي سر موقدها
وعشت أليفا لمشهدها
أحدث نفسي بموعدها

* * *

وهاهي ترحل للجامعة
فتأخذني بين أحضانها
إلى قصرها الضخم في الجامعة
وجوه بها ناضرة
عقول بها حائرة
شهادتها درة لامعة
وفي النفس منها منى رائعة
وليست بها دونها قانعة
ويوم يكون بها الامتحان
تعز وجوه وأخرى تهان
عيون بها دامعة
قلوب بها ضارعة

* * *

وعند امتحاني الأخير
تركت الطعام هجرت السرير

فقد كنت مرعى لحلم كبير
فأمي تهفو لقبر الرسول
تريد زيارته وتقول
أناشدك الله ياولـدي
ففيك مناي فكن مددي
وتخطو ورائي تناشدني
أنْ اصبر وداوم على السهر
وفوق جبين ووجه أبي
بدت لي ملامح عجز كحال الصبي
وأسمع شكواه مـن تعـب
ويعلن مـن غضب ونفـور
غلاء المعاش وسوء الأجور
وحيـن يراني أمامـه
تضيء على شفتيه ابتسامة
سننسى زمان الاهانـة
إذا صرت يا ولدي ذا مكانة
سناكل مثل الذي ياكلون
ونلبس مثل الذي يلبسون
ونسكن في مثل ما يسكنون
ونركب في مثل ما يركبون
إذا صرت تركب في المرسديس

* * *

وسرت صباحا إلى الامتحان
تلاحقني نظرات حنـان
وترسل لي من رضاها شفاعة
وتحمل في شفتيها ضراعة

* * *

وهاهو ذا اسمي مع الفائزين
في لحظة كنت انسجها من سنين
ونلت شهادة ملء السطور
بأقوال من سكنوا في القبور
وعاشوا حياتهم في سرور
وكان لهم رايهم في الأمور

* * *

حملت إجازتي في كتفي
عروسـا تألق كالتحـف
أزور بها قصر كل وزير
أطوف بها دار كل مدير
فما أحد هيجته العروس
بثغر وحسن ولو كالشموس
وما أحد سره أن تعيش
وخير لها الوأد وسط الحشيش

* * *

وتسقط في لحظة شرفات الأماني
وتهوى إلى القعر كل الأغاني
وأقبل نحوي جمع رهيـب
بأيديهم الموت والقلب فيه حديد
يطـاردنـي لأغيـب
ويرمي إلى الجب بي لأغيب
ومـا مـن مجيـب
ومـا مـن نحيـب

* * *

أخيرا رمت بي هنا قدماي
ترى أي ذنب جنته يداي
أم الذنب جـاء به أبواي
أم الكل كان وراء خطاي
طريـدا أعيـش
أجوب الشوارع أطوي الزمن
وفي الدرب مقهى وخمر، حشيش
تعاهر من وأدته المحن
قميئا بدت صورتي للعيان
ذليلا أمام أبي كالجبان
وأمي تخاطبني بمـرارة
قلوب تطاردني كالحجـارة
ففي مولدي كان اسمي بشارة
وها أنذا اليوم أدعى خسارة
خسارة ـ خسارة ـ خسارة

* * *

وأرجوك يا أبتا لا تهني
فهذي جميع حظوظي فدعني

ألاقي مصيري كما شاؤوا مني
وأقتات ما وعدوني بأنـي
أصير رئيسا لديوان كسرى
وأحمـل شمسـا بيمنـى
وأحمـل بدرا بيسـرى
أصير وجيها وصاحب كرسي
أصير وسيما وصاحب عرس
ولكنني الآن صاحب نحس
أقلب كفي واجتر يأسي

* * *

علت وجهه حمرة الغضب
وصـار يردد في صخـب :
بلاد تسكـع أبناءها
وترمي بهم لذئاب البشر
ينال الذكى بها سوءها
ويلقى الغبي صنوف الثمر
أصابت ثقوب خزينتهـا
وأموالها في بنوك أخر
فما تشرق الشمس في عينهم
ولا ينبت القمح في قلبهم
بلاد جرى الوحش فيها طليقا
ونقت ضفادع فيها نقيقا
وعاش الثعالب عيشا رقيقا
بها انتحر الحب ليلا غريقا

* * *

ففي مولدي كان اسمي بشارة
وها أنذا اليوم أدعى خسارة
خسارة ـ خسارة ـ خسارة

أبـو محمـد
فاس ـ وليدة صيف 85

حــــــوار

مقابلــة مع الأستاذ

إدريس الكتاني

حول

إنحــراف الأحداث

الأستاذ إدريس الكتاني

- *من مواليد 1922 بدمشق.*
- *ابن شيخ الاسلام الشيخ محمد بن جعفر الكتاني صاحب «سلوة الأنفاس» ومؤلفات أخرى كثيرة.*
- *درس في التعليم الحر بفاس، ثم واصل دراسته بالقرويين.*
- *حصل على دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية.*
- *شارك منذ صغره في الحركة الوطنية.*
- *درس اللغة الفرنسية والعلوم السياسية والاجتماعية في باريس، ولوزان، وكندا، وجنيف حيث حصل على بكالوريوس العلوم الاجتماعية.*
- *أسس معهد المولى إدريس الأزهر بالدار البيضاء.*
- *عمل أستاذا ومديرا بالنيابة لمعهد العلوم الاجتماعية (سابقا).*
- *حضر رسالته لدبلوم الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية حول موضوع «ظاهرة انحراف الأحداث بالمغرب».*
- *يحضر رسالة الدكتوراه في موضوع «المحولات الثقافية للشخصية المغربية من خلال الأمثال الشعبية» في القاهرة.*
- *ألف عددا من الدراسات والأبحاث الاجتماعية أكثرها لم يطبع. ومن ضمن ما طبع منها كتاب «المغرب المسلم ضد اللادينية» حارب فيه فكرة وبوادر اللادينية التي بدأت تظهر بالمغرب.*
- *مؤسس ورئيس جمعية نادي الفكر الاسلامي بالرباط.*
- *أستاذ لمادة علم الاجتماع بكلية الآداب لجامعة محمد الخامس بالرباط.*



● سؤال: الاستاذ ادريس الكتاني:

نعرف أن لكم اهتماما خاصا - ضمن اهتماماتكم الكثيرة - بموضوع وضعية الأحداث، وانحرافاتهم. فنرجو أن تتحدثوا لنا عن أهمية هذا الموضوع وانعكاساته على المجتمع.

■ نعم، اهتممت بموضوع الاحداث - ومازلت واهتممت بصفة خاصة بانحرافهم، ونشرت كتابا عن (ظاهرة انحراف الأحداث)... **وانحراف الأحداث يعني - بكل بساطة - أن المجتمع كله في طريق الانحراف.** وخصوصا إذا كان انحراف الصغار في تزايد مستمر. وهذا هو الواقع في مجتمعنا، فإذا كان عدد المجرمين الراشدين قانونيا يتزايد سنويا بنسبة 10٪، أي أنه يفوق نسبة نمو السكان بأكثر من ثلاث مرات. فإن المنحرفين الصغار يتكاثرون بنسبة 14٪. وهي زيادة تفوق نسبة تزايد السكان بأكثر من أربع مرات..

وإذا كان عدد المقبوض عليهم، أو المحكوم عليهم بالسجن سنة 1972 قد بلغ 19.000 فتى وفتاة، فالمعروف أن الذين يقبض عليهم لا يتجاوزون عادة خمس أمثالهم، بمعنى أن عددهم الحقيقي سنة 72 كان هو 95.000 طفل وطفلة، ولكم أن تحسبوا أو تتصوروا - إذا أعوزتكم الاحصائيات - ما نحن عليه سنة 1985.

أليس هذا كافيا لاعتبار انحراف الأحداث من أخطر الظواهر على مستقبل مجتمعنا؟.

● **سؤال: وهل ترون أن هذا الاعتقال والحبس الذي يتعرض له خمس الأطفال المنحرفين (وهم عشرات الآلاف) يساهم في حل المشكلة؟.**

■ هذه ماسأة أخرى تصيب أبناءنا، بالاضافة إلى مأساه انحرافهم. وهم ضحايا في الحالتين: ذلك **أن التشريع الجنائي المغربي يعرض للسجن أطفالا دون سن الرشد الحقيقي. وهذه مشكلة موروثة من عهد الحماية.** حيث إن المستعمر الفرنسي جعل سن الرشد الجنائي للأطفال الفرنسيين والأوربيين عامة هو 18 سنة. بينما جعله لأبناء المغاربة 13 سنة. إذا تجاوزها بيوم واحد عوقب كما يعاقب الكبار. وكأن المشرع المغربي كبر عليه أن يبتعد كثيرا عما شرعته فرنسا. فلم يجرؤ على رفع سن الرشد الجنائي إلى ما عليه التشريع العالمي وهو 18 سنة، وإنما حصره في 16 سنة. **وتحديد سن الرشد في 18 سنة هو التحديد المشهور في مذهب الامام مالك، والامام أبي حنيفة. ومن العلماء المسلمين من رفعه إلى 19 سنة.**

إن سجن أطفال دون الرشد الحقيقي، الرشد الشرعي، والرشد القانوني العالمي، مأساة يتجرعها عشرات الآلاف من أبنائنا وعائلاتهم. بينما كان ينبغي، وفق مقتضيات الاسلام، ووفق مقتضيات القوانين الدولية، والأبحاث الاجتماعية، أن يكونوا محل رعاية واصلاح وتكوين.

ومن المآسي التي وقفت عليها، ولا أستطيع نسيانها أبدا، حالة فتاة لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها، وجدتها وهي تقضي بسجن الدار البيضاء عقوبة عشر سنوات سجنا. أخبرتني أنها لم تصم رمضان إلا بعد مضي عام على سجنها. وكان والدها قد زوجها لرجل مطلق له ولدان. وبينما كانت يوما تقطع الطماطم، خطف أحدهما منها حبة طماطم، وبحركة صبيانية منفعلة رمته بالسكين التي بيدها. فأصابت عنقه فمات.

هذه طفلة ارتكبت خطأ وهي دون البلوغ الطبيعي، ودون سن الرشد بجميع الاعتبارات. يحكم عليها بعشر سنوات سجنا. من المسؤول؟ أبوها، القاضي؟، التشريع؟ المجتمع؟...

وشعورا بفداحة مأساة أبنائنا، وبما تستوجبه علينا، كنت قد تقدمت خلال السنة الدولية للطفل (1979)، بخطاب إلى السادة أعضاء مجلس النواب السابق، طالبتهم فيه مطالبة أعضاء مجلس النواب بالعمل على اصدار قانون يتضمن:

1 - رفع سن الرشد الجنائي إلى 18 سنة بدل 16،

2 - منع دخول القاصرين إلى السجن منعا باتا،

3 - تعويض أجنحة الأحداث بالسجون، بمؤسسات تربوية تحت اشراف وزارة الشبيبة والرياضة، أو وزارة الشؤون الاجتماعية.

وما زالت هذه الاقتراحات لا أثرلها.

● **هذه اقتراحات علاجية قانونية، فهل عندكم من اقتراحات وقائية تربوية؟**

■ طبعا، وهذا هو الأهم. والاقتراحات في هذا الباب كثيرة ومتشعبة، والاحتياج إلى العمل والتنفيذ. وبصفة إجمالية ننظر إلى الأسباب، فنعرف ما ينبغي عمله: إزالة أسباب الانحراف من الاعلام، من التعليم، من الحياة الاجتماعية، الطرد، الفراغ، البطالة...

لا بد من ايجاد وتشجيع الأجواء الاسلامية والدعوة الاسلامية والتربية الاسلامية، في التعليم وفي غير التعليم.

أبناؤنا يفتحون أعينهم وكل حواسهم على أجواء موبوءة، منحلة. ازدواجية التعليم فتحت الأبواب على كل مساوىء الغرب وأمراضه الأخلاقية والاجتماعية، حتى أصبحت اليوم العلاقات الجنسية الشاذة، حتى بين المحارم تعج بها المحاكم كما يحدثني بذلك القضاة.

وزارة السياحة، سياستها لا علاقة لها بتاتا بحضارة المغرب وكرامته ودينه. الدعاية السياحية لا تصور المغرب

إلا أنـه بلد متخلف: فلكلور، وأكـل وشرب، وفساد. وكل ما لذ وطاب.من الشهوات الحرام.

عقلية وشعار: المغرب بلد مفتوح، لم تجر علينا إلا السقوط، والمظاهر التي فزع منها الغرب نفسه.

وسمعة المغرب في الخارج، يعرفها المسؤولون أكثر من غيرهم. سهـرات رمضـان الماجنة التي انطلقت من العـاصمـة، تـنظمهـا وتمـولها البلديات **«ومن الناس ما يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله»**.

ليالي رمضان التي جعلها الله ليالي قرآن، وعلم، وذكر، وقيام. جعلوها ليالي رقص وغناء، وفسق وفجور. أبهذا تعالج بطالة الشباب؟ (وداوني بالتي كانت هي الداء)؟.

هذا يجعلني خائفا على مستقبل المغرب.

المشكلة أنه ليس في المغرب جهاز رقابة اسلامية. يراقب كل ما يجري في المغرب من نشاطات رسمية وغير رسميـة. رغم أن الـدستـور الـذي ينص على اسلامية الـدولـة، يقتضي وجود هذا الجهاز الدستوري. وزارة الأوقاف لم تعد صالحة للقيام بهذا الدور، نظرا لتقلص اهتـمامـاتها ونشاطها. فلو كنا نتوفر على جهاز اسلامي حقيقي للمراقبة لكنا بخير، ولكنا تجنبنا ما وصلنا إليه من تدهور وانحلال، وتفكك اجتماعي.

● **سؤال: أشرتم قليلا إلى دور الدعوة الاسلامية في تربية واصلاح الأحداث، ومعالجة أسباب انحرافهم. فهل عندكم من توجيهات لهذه الجهة؟.**

■ **الـدعـوة الاسـلاميـة عليهـا أن تولي اهتماما للمـراحـل الأولى من عمـر الأطفـال. عليهـا أن تهتم بالكتـاتيب القـرآنيـة ودور الحضـانة، وبالتعليم بصفة عامـة. لا ينبغي أن تسقط الـدعـوة الاسـلاميـة في فخ الخـلافيـات الهـامشيـة، والبدع المتلاشية. وتدخل عن طريقهـا في الصراعـات العقيمـة، بل الضـارة. أمامها قضـايـا المجتمع الكبرى**: الشباب، التعليم، الثقافة، **الاقتصاد، الاعلام...**

وهذا يقتضى أن يكون دعاة الاسلام على جانب كبير من التكوين والوعي.

ومن أجـل المجتمـع عامـة، ومن أجـل أطفـالـه المحـرومـين، والمطرودين والمشردين خاصة، **على الدعاة الاسلاميين أن يركزوا على ضرورة تطبيق الزكاة. فتطبيق الـزكـاة وحدها، كفيل بانقاذ ورعاية مئات الآلاف من أبنـاء الفقراء**: فالزكاة توفر لهم كل ما هم محرومون منه ماديا وتربويا.

الزكاة ركن عظيم، يجهله حكام المسلمين، يجهله المسؤولون عندنا عن التخطيط، يجهله النقابيون وزعماء الأحزاب، يجهله رجال الفكر والاعلام.

فيجب على الـدعـاة أن يلحـوا صباح مساء على تطبيق الـزكاة. وأن يشرحوا أهدافها وأحكامها، ويبينوا أهميتهـا. وهم بهذا سيحـاربـون التخلف، سيحاربون الفقر الذي يستغله الآخرون لمحاربة الاسلام نفسه.

● **سؤال: إذا سمحتم يا أستـاذ، ننتقـل إلى موضـــوع آخر إلى (نـادي الفكـر الاسـلامي)، ماهي اهتماماته؟ وما هي تطلعاته ومشاريعه؟**

■ **أولاً**، نادي الفكر الاسلامي، جاء استجابة لحاجـة، ورغبة أكيدة كانت تخالجنا، لسد فراغ كبير في مجال الدعوة الاسلامية. بممارسة الدعوة على مستوى عال من العلم والفكر. فكانت جمعية (نادي الفكر الاسلامي) محاولة لسد هذا الفراغ، أو بعضه.

رصيدنا الوحيد هو الفكر الاسلامي الصادق. بهذا تحرك النادي، وحقق ـ بنشاطه وجديته ـ سمعة طيبة في الداخل والخارج. وحافظ النادي على استقلاله ونظافته، وعـدم تبعيتـه لا لجهات حكومية ولا حزبية. وهذا من أسباب بطئه. لأننا لا نعتمد إلا على امكانياتنا الذاتية الضعيفة.

اهتـمامنـا الأسـاسي هو نشر الفكـر الاسـلامي السليم، وارسـاء دعائمه، وذلك من أجل الرجوع إلى الاسلام الحق الصافي. وهذا يقتضي منا ـ حتما ـ الدخول

في المعركة مع التيارات المنحرفة، لبيان زيفها وضلالها من جهة، ولتعريفها بالاسلام وبالفكر الاسلامي من جهة أخرى.

هذه باختصار رسالة نادي الفكر الاسلامي.

من أجل هذا يدعو النادي إلى وضع استراتيجية للمعركة الثقافية، واستراتيجية للعمل الاسلامي، تحدد الأولويات، وترتب الأسبقيات. قضية التعليم مثلا، التعليم يكوّن ملايين الشباب والأطفال في مدارس الدولة، وعن طريقها تم نشر العلمانية والالحاد والأفكار المعادية للاسلام، هل يمكن اغفال هذه القضية أو التقليل من خطورتها. إنها تمس بشكل أساسي تكوين ملايين الشباب. ما هي قيمة التربية الاسلامية في تعليمنا؟ ما نصيبها؟ وماهو محتواها؟ وماهي نتائجها؟ إنني أجد طلبة الجامعة، وطلبة الدراسات العليا، لا يعرفون أبسط المعلومات عن الاسلام وعن العالم الاسلامي. أغلب الشباب المتعلم ليس عنده مفهوم سليم لكلمة الدين. يفهمون الدين كما تفهم المسيحية عند أهلها. وعندما يرفضون الدين أو يهاجمونه، فإنما يقصدون هذه المفاهيم المسيحية. أما الاسلام فإنهم لا يفهمونه. الاسلام - لو فهموه - يحطم تلك المفاهيم ويقلبها كلية.

● **سؤال: هل من مشاريع يعمل النادي على انجازها قريبا؟.**

■ أؤكد - مرة أخرى - على أن وسائلنا جد محدودة، بسبب نزاهتنا. ثم إننا يعيقنا الوضع الذي نعيشه، وتعيشه الدعوة الاسلامية. وهو الوضع الذي جمد العلماء، وأشاع الخوف والأنانية.

أما مشاريعنا فمنها أننا نتوفر على بحوث في غاية الأهمية نفكر في نشرها:

- عندنا مشروع لتطبيق الزكاة، قائم على أحدث الاجتهادات في الموضوع، ومنها ما قدم في مؤتمر الزكاة الذي عقد في الكويت (السنة الماضية)، وحضره الدكتور القرضاوي صاحب الدراسة الموسعة في الزكاة. ومشروعنا يمتاز بطابعه التشريعي الدقيق، الأمر الذي يجعله يتجاوز ويتفوق على أحدث التشريعات الغربية في مجال الضمان الاجتماعي.

- وعندنا مشروع حول (مشكلة الطلاق). الذي وصل في بعض مدننا النسبة الأوربية، (الدار البيضاء 57٪ - الرباط 51٪ - القنيطرة 36٪). مشاكل الأسرة والمرأة والطلاق، يستغلها اليسار المتغرب، ويطالب بتطبيق التشريعات الغربية في الزواج والطلاق والميراث. ويدعو إلى نبذ التشريعات الاسلامية ويستغل مظاهر الفساد والتخبط الذي تعاني منه الأسرة المغربية ليلصق بالاسلام ما جاء بسبب مخالفته.

نحن عندنا مشروع مثالي لمعالجة مشاكل المرأة والأسرة، ورفع كل ظلم في وضعية الأسرة. من خلال الفقه الاسلامي، والمبادىء الاسلامية.

هذه بعض المشروعات التي نسعى لتحقيقها، بتوفيق الله تعالى، رغم الصعوبات التي أشرت إلى بعضها سابقا.

نشكر في الأخير الأستاذ إدريس الكتاني على كلماته وتوجيهاته، ونتمنى له ولنادي الفكر الإسلامي مزيدا من التقدم والعطاء لخدمة الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي السليم.

في العدد المقبل

حوار مع الدكتور محسن عبد الحميد

حول الفكر الإسلامي الحديث
النشأة والتطور
الواقع والتحديات

مع الكتب

في النقد الذاتي
ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية
تأليف: خالص جلبي

مؤسسة الرسالة، بيروت.
الطبعة الأولى، 1984

تقديم: الهدى

المؤلف: هو الدكتور خالص جلبي، الطبيب السوري، والكاتب الاسلامي المعروف، صاحب كتاب **(الطب محراب للايمان)**. وصاحب الكتابات المتميزة في فقه الدعوة، سواء ما كان يكتبه في مجلة **(الشهاب) اللبنانية**، أوفي مجلة **(المعرفة)** التونسية، خلال السبعينات. أو ما جاء في كتابه الجديد الذي نحن بصدد التعريف به. وهو بهذه الكتابات يعد أحد كتاب فقه الدعوة الاسلامية. وله فيه آراء واجتهادات متميزة وجريئة. وهو ـ في هذا ـ يعترف بالفضل والتأثير لأهله فيقول (**لا بد من ذكر فضل خاص للأستاذ جودت سعيد في اثارة هذا الجانب العقلي ودفعه للنمو. وفي هذا الصدد لا ينسى الأثر غير المباشر لفكر مالك بن نبي، الذي امتزج أيضا بالفكر القطبي المصري.**) ص 11.

والمؤلف ـ حسب الكتاب ـ يعيش في المنفى بمدينة باينه الألمانية.

الكتاب: يعالج الكتاب قضية، يعتبرها المؤلف أساسية وحاسمة في مصير ومستقبل الدعوة الاسلامية. وهي المعبر عنها في عنوان الكتاب **بضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية**.

ورغم أن الكتاب صادر سنة 1984، فإن بذوره الأولى ترجع إلى سنة 1973 (**أثناء الدخول في ظروف محنة، وفي جو مناقشات مع اتجاهات متباينة. فتبلورت بعض هذه الأفكار بعد ذلك أثناء مغادرة الوطن والدخول في محنة الغربة...**) ص 11.

ومن هنا، ينبغي لقارىء الكتاب أن يستصحب معه هذه الخصوصيات الظرفية، وإن كان المؤلف قد صبغ تحليلاته وخطابه بصبغة علمية، إلا أن طبيعة بعض القضايا التي تطرق إليها تأبى الاحتفاظ بخصوصياتها، لا سيما في الفصل الثالث.

الكتاب يتكون من ثلاثة فصول، إضافة إلى مقدمة تغطي ما يقرب من ثلاثين صفحة، لخص فيها المؤلف أهم أفكار الكتاب.

ـ الفصل الأول: وفيه الاجابة عن سؤال: **لماذا النقد الذاتي؟**

ـ الفصل الثاني: في الاجابة عن **(كيف؟) أي كيف** نمارس النقد الذاتي.

ـ الفصل الثالث: **(في التطبيقات)**، تناول فيه المؤلف، بالنقد، مجموعة من الممارسات والمواقف والاجتهادات السائدة في حقل الدعوة الاسلامية.

وبما أن هذا الفصل تتجلى فيه أكثر من غيره الخصوصيات الظرفية والمؤثرات الشخصية والمكانية، فإنه يبدو دون مستوى الفصلين السابقين علمية وعمومية.

ونشير إلى أننا لا نريد تقديم عرض كامل لمحتويات الكتاب، كما أننا لسنا بصدد نقدو تقييم أفكاره واجتهاداته، وإنما نريد، فقط، التعريف به وبأهم أفكاره. تعميما للفائدة، واغناء للفكر الدعوي.

★ مع «التقديم» و«المقدمة»

في تقديم الكتاب، ينبه المؤلف على أن المشكلة التي يتناولها هي مشكلة إنسانية عامة، وليست، إسلامية خاصة. والمشكلة التي يقصد هي نفور الناس من النقد الذاتي، واستثقال نفوسهم له (**من السهل القيام بعملية نقد غيري، لأنها كشف الآخرين. ومن أصعب الأمور القيام بعملية نقد ذاتي. لأنها مواجهة للذات. ونحن تعودنا الفرار من الذات، أو اعطاء ما يشبه التقديس للذات**) ص 13.

النقد الذاتي يفرض نقاشا عقلانيا صارما. ودقة علمية فائقة) ص 14.

وهو في نفس الوقت ينتقد الذين لا يرون في النقد الذاتي إلا تخريبا وطعنا في الأشخاص، وهو انتقاد موجه - أيضا - للذين يجعلون النقد كذلك، ويمارسونه على هذه الصورة.

ويختم هذا التقديم بدعوة المسلمين - وقد آن الأوان - إلى أن يعيدوا النظر في التجربة الحديثة، وأن يبوّئوا العقل - في ذلك - مكانته اللائقة.

ويشرع هو في ذلك - في المقدمة -، فيتساءل عن سر عجز الحركة الاسلامية عن تحقيق الأهداف التي تسعى إليها، والتي يمكن اختصارها في إعادة الحياة الاسلامية إلى المجتمعات التي تنتسب - تاريخيا - إلى الاسلام؟

والاجابة على هذا السؤال تشكل محور الكتاب. سائرة في اتجاه النقد والمراجعة والمحاسبة. على خلاف الكتابات والكتب التي صدرت عن العمل الاسلامي، والتي (**ما تزال حتى الآن تسير - في اتجاهها العام - في اتجاه التزكية والثناء**).

وبعد أن يشير إلى الاختلاف في تقييم حصيلة العمل الاسلامي بين الافراط في الانتصارات، وبين الحكم بالفشل، يرى أن الأمر ليس هذا ولا ذاك. ويقول (**إن الدراسة الموضوعية ستقودنا إلى حكم رشيد يدفع بالحركة إلى تعميق الايجابيات والتخلص من السلبيات**) ص 28.

وهو يأخذ الحركة الاسلامية كونها تشيع روح النقد نحو الخارج فقط، فنقد المجتمع مسموح به، وأما نقد الوسط الداخلي فلا. ولهذا كان مفهوم النقد الذاتي غريبا في صف الحركة.

ثم يأخذ في التماس الأدلة على مشروعية النقد الذاتي وإسلاميته. يقول: (**فأما أن اللفظ لم يرد في الحديث أو القرآن، فهذا صحيح. لكن الألفاظ والمصطلحات ليست هي كل شيء. وإنما العبرة بما تحمله من مفاهيم... ومفهوم النقد الذاتي، بمعنى مراجعة النفس أو النشاط، فرديا كان أو جماعيا، ثم محاسبتها، هو روح القرآن المكثفة.**)ص 20.

ويستدل على هذا بكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى «**ولا أقسم بالنفس اللوامة**» الذي يتضمن تعظيما للنفس اللوامة التي تحاسب وتلوم على الخطإ والمعصية. وكقوله عز وجل تنويها بآدم وزوجه، وبموسى، عليهم الصلاة والسلام، حين اعترفوا بالخطإ، ورجعوا عنه، وتابوا منه: «**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**» «**قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي**». وبنفس الروح يتصرف أصحاب الجنة الذين حكى الله لنا عن تصرفهم وخطئهم، ثم مراجعتهم لأنفسهم «**فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**» واعترفوا بأنهم كانوا ظالمين، وطاغين، وأنهم هم السبب فيما أصاب جنتهم وفيما نالهم من عقاب.

ثم يقول المؤلف (... **بعدما مر نكون قد وصلنا إلى... الارتياح بأننا في حقل إسلامي صرف. وأننا أمام عملية إسلامية أصيلة**) ص 25.

● ● ●

★ الفصل الأول: لماذا النقد الذاتي؟

في هذا الفصل - الذي هو أهم وأجود ما في الكتاب - يورد المؤلف الأسباب التي توجب الأخذ بمبدإ النقد الذاتي، ويكشف من خلالها مدى أهميته وضرورته. وهي خمسة:

أولا: لأن النقد الذاتي هو أحد المكونات الثلاثة

لكل عمل جاد، (وهي: التصور النظري (زائد) الممارسة (زائد) النقد والمراجعة) فالنقد الذاتي ليس نفلا، بل هو ركن في كل عمل صحيح سليم.

ثانيا: لأن النقد الذاتي يعيد ربط النتيجة بالسبب. وسنعود إليه بعد قليل.

ثالثا: لأن النقد الذاتي يخصب جو الحركة ضمن جدلية الزوجية، باعتبار أن الزوجية هي قاعدة الوجود التي ينبثق عنها النمو والتكاثر (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**)، وحتى نفس الانسان الواحد إذا ترقى إلى الصحة والعافية بسبب الجدل الداخلي الذي يشكل نوعا من الزوجية أو الازدواجية داخل الانسان. وكذلك جدل الجماعة الداخلي - من خلال شروط معينة - يقودها إلى النمو والصحة. وإلا اختنقت وذبلت بالركود الفكري. وحتى لا يكون النقد الذاتي سلبيا والجدل عقيما فإنه يجذر من آفتين، تتمثلان في كون (**كثير من الناس يدرجون في لقاءاتهم الفكرية على الانعكاس على أحد طرفي علاقة مشؤومة وهي: إما منازعات، أو، مجاملات.**) ص 101. وكلا الأمرين لا يثمر نفعا، ولا يفضي إلى خير.

رابعا: لأن النقد الذاتي فيه التفات إلى العامل الداخلي الذي يرجع إليه التأثير الحاسم في ولادة الأحداث. وسنرجع إلى التفصيل في هذا السبب أيضا.

خامسا: لأن في ممارسة النقد الذاتي تدريبا للعقل على المنهجية وتكوين الأحكام الصحيحة. ففي أجواء حرية النقد والرأي، ومن خلال ممارسة النقد الذاتي، يتحرر العقل من الصفات النقلية والتقليدية والتبريرية، ويتسلح بالنظرة النقدية الفاحصة. وهذا لا يعني - أبدا - رفض شيء من النقل الملزم، ولكنه - فقط - يعني عدم تعطيل العقل عن مجالاته. لأن صريح المعقول لا يتناقض مع صحيح المنقول. ولا غنى عن أي منهما، ولا يصح اغتيال العقل باسم النقل.

ونعود الآن - كما قلنا - إلى الموجبين الثاني والرابع من موجبات النقد الذاتي، وإنما أخرنا الكلام عنهما لأهميتهما. ففيهما أطال المؤلف وأجاد.

ففي السبب الثاني من الأسباب التي تحتم النقد الذاتي، يرى المؤلف - بحق - أن كل شيء في هذا الوجود قائم على السنية، ويسير وفق سنن لا تختلف. وأن لكل سبب نتيجة، ولكل نتيجة سبب. وإذا طلبنا هدفا ولم ندركه، فهذا يعني أن سببه لم يتحقق، أو لم يتحقق تحققا صحيحا كاملا. أي لم تتحقق شروطه. وهذا القانون: تلازم النتائج مع أسبابها؛ كما يسري على الأجسام، وعلى الأرض والسماوات، وعلى الأمم والأفراد، فإنه يسري - قطعا - على العمل الاسلامي، وسائر أوجه النشاط البشري، فعندما يسعى المسلمون إلى أمر فلا يدركونه، وعندما يعملون على تحقيق شيء فلا يتحقق، فهذا يعني - حتما - أن هناك خللا أو أكثر. والنقد الذاتي - المراجعة والمحاسبة - هو الذي يكشف الفشل، وهو الذي يضع أيدينا على الخلل.

والمؤلف يطيل في ضرب الأمثلة المتنوعة، لاثبات قانونية الأحداث - أو سنيتها تبعا للاصطلاح القرآني -، ويورد من الآيات وأقوال العلماء ما يجعل الفكرة يقينية وفي أجلى صورها. وقد أكثر - بصفة خاصة - من الاستشهاد بالأستاذ جودت سعيد الذي أفرد لهذه المسألة كتابا كاملا هو (**حتى يغيروا ما بأنفسهم**).

ويختم عرضه لهذه القضية بتلخيص مركز يقول فيه: (... **نستلخص مما مر:**

★ **أولا: أن الكون يقوم على سنة الله في خلقه.**

★ **ثانيا: سنة الله في خلقه تشمل الوجود المخلوق كله.**

★ **ثالثا: الله سبحانه وتعالى خلق وعامل هذا الكون على أساس السنن.**

★ **رابعا: تتجلى إرادة الله وكلمات الله من خلال السنن.**

★ **خامسا: السنة فيها طابع الاضطراد والانتظام. بمعنى أن نتائجها تتبع مقدماتها بدون تخلف.**

★ **سادسا: إن تخلف النتائج عن الأسباب له بدوره أسباب معوقة.**

★ **سابعا: إن أداة كشف السبب المعوق هو النقد الذاتي والمراجعة)** ص 70.

ولم يكتف المؤلف بالبيان الكافي والاثبات المقنع لهذه الفكرة، بل تصدى لتفنيد ما يسود تفكير بعض المسلمين من أن (**الأسباب قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها. . . ؟ لأن إرادة الله طليقة تفعل ما تشاء**) وهواعتقاد باطل، لأن إرادة الله - الطليقة حقا - هي التي ربطت بين الأسباب ومسبباتها. (**وعندما نربط السبب بالنتيجة فإننا لا نقيد إرادة الله. بل نقول: إن إرادة الله شاءت أن نتعامل مع الكون وفق سنن.**) ص 61. وينبه المؤلف على أن هذا الاعتقاد الباطل يؤدي إلى اضطراب في التفكير، وعشوائية في العمل، مادام هذا وذاك غير محكومين بالسنن الثابتة، والقوانين المتلازمة. وهذا يؤدي - أيضا - إلى إضعاف، أو قتل الشعور بالمسؤولية عما يقع، وعما تؤول إليه الأمور. لأن «المسؤولية» تلقى في هذه الحالة على إرادة الله الطليقة، وتفسر بحكمته الخفية. .

- **السبب الرابع**: هو أن عملية النقد الذاتي تلفت أنظارنا إلى الداخل، إلى العوامل الداخلية التي هي المؤثر الرئيسي فيما يقع. ويلخص الدكتور جلبي هذه المسألة بقوله (**إن المسلمين التفتوا وركزوا انتباههم اليوم على خصومهم، وحذفوا أنفسهم من تكوين المشكلة، بمعنى أن العامل الخارجي هو المتهم حتى الآن، مع أن العامل الداخلي هو الأساس في ولادة الحوادث. معنى هذا أن المسلمين أمام مراجعة قاسية لأنفسهم. لأنهم من قطاع العامل الداخلي. . .**) ص 103.

لقد اعتاد المسلمون أن يعللوا مصائبهم ونكباتهم بمؤامرات الأعداء ومكائدهم، من صليبيين، ويهود، وشيوعيين، وطغاة ظالمين. . .، كما اعتادوا - في كثير من الحالات - النظر إلى سوء حالتهم، وإلى فشلهم على أنه إرادة الله التي لا مرد لها، دون أن يبحثوا في أنفسهم، وفي داخلهم عن سر ذلك وأسبابه، - كما ينبه القرآن -: (**أوكلّما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثيلها قلتم أنّى هذا، قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير**).

ويمضي المؤلف في سرد الأمثلة - من الكون والحياة - على كون العامل الداخلي هو الحاسم في صنع الحدث:

- فالغصن لا تسقطه قوة الريح، بقدر ما يسقطه استعداده الذاتي للسقوط. وإلا فلماذا لا تسقط قوة الريح أغصانا أخرى، أو الشجرة نفسها؟.

- وليس المرض هو الذي يقتحم الأجسام ويفرض عليها نفسه، ويغصبها سلامتها وعافيتها. ولكن الحالة الداخلية للجسم هي التي تستدعي المرض أو تنشئه.

- وظهور الحركة الاستعمارية وانتشارها لم يتم إلا بعد وجود شعوب ودول تغري أحوالها الداخلية بذلك.

وأتاتورك لم يقض على الخلافة، ولكنه وجدها قد قضت بنفسها فقام هو بتهشيم هيكلها ودفنه.

- ووجود الظالمين، واستكبار المستكبرين، لا يكون إلا إذا وجد من يتقبل الظلم ويرضى بالاستضعاف. فالمظلومون والمستضعفون هم السبب الأول في وجود الظلم والاستكبار. ومن هنا اعتبر القرآن الطائفتين معا ظالمين، طائفة تظلم نفسها حينما تستسلم للظلم وتركن إليه. وطائفة تظلم غيرها وتستغل ضعفها: (**ولو ترى إذِ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول. يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مومنين**).

وكما أن الله سيحمل المستضعفين الخانعين أوزار خنوعهم يوم القيامة، فإنه - سبحانه - يذيقهم نتائج موقفهم في الدنيا أيضا. ومن هذا الباب - يقول المؤلف - (**كانت مذبحة بغداد** - على يد التتار - **قصاصا عادلا، ومعادلة تاريخية صارمة لأنهم** (يقصد المسلمين) **كانوا مخلفات وسقط حضارة جرفت لم يكونوا مستحقين الحياة. ولو كان فيهم نبض الحياة وحيويتها لدافعوا ودفعوا. ولكنهم كانوا أقرب إلى الموت فماتوا.**) ص 129.

وبناء على كل هذا، فإن المؤلف يؤكد ويعيد التأكيد أن أوضاع المسلمين المؤلمة نابعة منهم أولا وقبل كل شيء. ويلحق بهذا ما تعانيه الحركة الاسلامية من تعثر أو فشل. فلا بد إذا أردنا النهوض والنجاح أن نعترف - أولا - بأسبقية وأولوية العوامل الداخلية، وأن نلتفت إليها - ثانيا - بالنظر النافذ، والاصلاح اللازم. وسبيل هذا وذاك هو **ممارسة النقد الذاتي** بشروطه ووسائله وآدابه. وهي موضوع الفصل الثاني من الكتاب: «**كيف**» ونعرضه - إن شاء الله تعالى - في العدد المقبل.

- الهدى -

مع القراء الكرام في إنتاجاتهم ومقترحاتهم وتوجيهاتهم

إخواني القراء: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

كثير من رسائل القراء يرد على بريد المجلة، يحمل مقترحات قيمة، وانتاجات جيدة، ولكن مع الأسف بعض هذه الرسائل إما مكتوب بخط غير مقروء، وإما غير ممهور بأسماء وعناوين أصحابها، الأمر الذي يضطرنا إلى عدم تلبية رغبة أصحابها في النشر، لا اهمالا، ولكن تقيدا بخط المجلة، المبني على توخي الصدق في عرض أفكار القراء كما هي، مع تحميل المسؤولية للقارىء الكريم فيما يبديه من آراء ونظريات ومقترحات.

ولهذا أنصح إخواني القراء الراغبين في الكتابة إلى المجلة بما يلي:

1) أن يكتبوا بخط واضح مقروء لا يحتمل التاويل والتخمين،

2) أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم كاملة، مع الاشارة إلى الاسم المستعار إن كانوا يريدون النشر بإسم مستعار،

3) أن تكون الأفكار والمقترحات مركزة تركيزا جيدا، حتى نتلافى العموم الذي يلف به البعض أفكاره ومقترحاته.

★ ولنبدأ بحول الله وقوته هذا الركن برسالة وردت علينا من الأخ: جواد مربوح من فاس، ضمنها مقالا، عنونه بـ: **الاسلام والمفاهيم الغربية**،

يقول فيه الأخ الكريم:

إن التحليل الدقيق للمفاهيم الغربية أمر أساسي للوصول إلى فهم صحيح لطبيعة هذه المفاهيم التي مازالت تديرها حركة الاستعمار، في العالم الاسلامي، مستعملة أسلوب القوة تارة، وأسلحة الهجوم الفكري تارة أخرى، ومازال الاستعمار يجدد أساليب غزوه الفكري، والأخلاقي، والاقتصادي، ودون الاكثار من السرد الزمني للانطباعات لدى الغربيين وغيرهم عن الاسلام نرى من المفيد، أن نتعرف على بعض هذه الانطباعات، فبعضها إيجابي، مثل اعجابهم بنظام الأسرة ومكارم الأخلاق في الاسلام، إلا أن هذه الانطباعات هي من النوع السلبي الذي يرتكز أساسا على أسلوب الخداع والنفاق.

إن أول نتيجة نسجلها في هذا الموضوع، هي قلة الكتابات التاريخية عن الاسلام والمسلمين، والتي ينبغي أن يرد فيها ذكر للاسلام والمسلمين وما قدموه من مساهمات شتى. ويبدو الاسلام نتيجة لذلك كما لوكان غير موجود، أو كان من النوع الذي لا يستحق الدراسة العلمية.

إن الاسلام من وجهة نظر مؤرخي الغرب، وبعض مؤرخي العرب قد وجد خارج حدود التاريخ، وبالتالي لا يستحق الدراسة العلمية الجادة، وأصحاب هذا الرأي يستغلون تبدل الصورة المشرقة للأمة الاسلامية، محاولين بذلك التشكيك في وجود الاسلام تاريخيا، وهناك رأي آخر مفاده: إن الاسلام وجد تاريخيا، لكن كان من النوع الذي تميز بعدم الفاعلية، وحجتهم في ذلك اضطراب الواقع السياسي للأمة الاسلامية ماضيا وحاضرا.

ومهما يكن من أمر، فإن مثل هذا النقد ليس من نوع النقد السياسي الواعي الذي يقتضى تقديم نظرية سياسية من أجل تغيير هذا الواقع السياسي المضطرب. ومن هنا نرى من الواجب أن نمعن النظر في هذه المفاهيم وغيرها، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنزعة التعصب، هذه النزعة التي ولدت لدى الغربيين انطباعا بأن العرب

والصحراء لفظان مترادفان يفسر أحدهما الأخر، ومن ثم فهم حسب هذا الرأي قوم يتصفون بالخشونة وجفاف الطبع، وأنهم أبعد ما يكونون عن التطور الحضاري، وبالتالي ليسوا أصحاب رسالة سماوية. وواضح أن أصحاب هذه المفاهيم قد تشابهت عليهم الأمور كما تشابهت على أجدادهم من قبل وأعمى التعصب بصيرتهم حتى أصبحوا لا يميزون بين الاسلام كمنهج رباني عالمي، والعرب كأمة مثل سائر الأمم

وقد تفطن حماة المسيحية لهذا الغلط الفاحش، ومهدوا لهذه المفاهيم عن طريق ما أسموه بحوثا، زعموا أنها اقيمت على منهج علمي، فكان من نتائج تطبيق هذا المنهج، انقسام التعليم إلى تعليم مدني وآخر ديني، وابعاد رجال الدين عن أن تكون لهم مشاركة في مجال توجيه سياسة الدولة وثقافتها واقتصادها، وهدفهم من وراء ذلك، اضعاف الاسلام وتشويهه تمهيدا للنفوذ الغربي الفكري والاقتصادي والسياسي.

إن هذه المفاهيم وغيرها كثير قد استغلتها وسائل الاعلام والبعثات الثقافية في بث عواطف الكراهية والحقد نحو الاسلام والمسلمين، لكي ينتزعوا منهم الصفات الانسانية التي تميزهم كأمة لها تاريخ ومنهج رباني يحكم حياتها، ويؤكد أصالتها.

إن المطلوب من قادة الأمة الاسلامية في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا، بعد أن تحسسوا السلبيات السياسية والاقتصادية والفكرية، العمل على إيجاد حلول اسلامية دون استيرادها من الخارج. ان قوى الكفر التي عملت في الماضي على تشويه الاسلام هي نفس القوى التي تحرص على تشويهه حاضرا وإن التصدي لهذه القوى ينبغي أن ينبع من أعلى المستويات وهذا بالطبع يحتاج إلى قيادة قوية، وهو أمر لا بد منه في أية مواجهة مع قوى الباطل، وبالله التوفيق.

★ وبعث إلينا الأخ عبد الرحمان ع من فاس مقالة بعنوان «**الزواج المشروط بين الاسلام والقومية**» يقول فيها:

تراجع مجلة «الوحدة» موقفها من الفكر الديني عنوان محور عددها 13 «تجدد الفكر الديني».

ونريد أن نقف عند مقدمتها التي عنونتها بمايلي: «اشكالية الفصل أو الاجتهاد في العلاقة بين الدين والدولة» لفهم هذه المراجعة نطرح تساؤلات:

1) ماذا تقصد المجلة بتجدد الفكر الديني؟

2) لا ندري فيما إذا كان موقف المجلة سابقا يهمل الفكر الديني، وتأتي المراجعة لتفسح له المجال كعنصر من عناصر المشروع الحضاري القومي الوحدوي؟ فنعتبره زواجا» وإذا كان كذلك:

أ ـ أكان هذا موقفا مبدئيا وعودة إلى رشد نتيجة تفكير طويل، وتأمل عميق؟

ب ـ أم أنه موقف تكتيكي استراتيجي تقتضيه الظروف والمصلحة السياسية؟

3) أم أن الفكر الديني كان مهيمنا على المشروع، وجاءت المراجعة للتخفيف من وطأته، وحصره في جانب من جوانب المشروع فقط ـ فنعتبره طلاقا. ؟

ـ فلنناقش هذه المقدمة إذن.

من البداية نطرح سؤالا كالتالي:
ماهي الدوافع التي دفعت إلى هذه المراجعة، أو اقتراح هذا الزواج؟

«ليس هناك أخطر على المشروع الحضاري القومي الوحدوي لأمتنا العربية، من أن يساء فهمه، وينظر إليه كمشروع هيمني يحقر من قيمة المعتقد الديني ويعلي من شأن الأصول العرقية»

الدافع إذن هو الخوف على بوار المشروع القومي إذن ماهو المخرج؟

«ومن هنا ضرورة تحقيق نقلة نوعية من النظر إلى الدين وعلاقته بالمشروع الحضاري القومي... إنها نقلة يحلو للبعض أن يسميها «تجددا» في الفكر الديني».

ولكن ما طبيعة هذه النقلة وما معنى هذا التجدد؟

«إن خطورة الاشكال المطروح هو الذي جعل الكثير من أمناء المجلس القومي يحتارون فيما يمكن أن يفهم من عبارة «تجدد الفكر الديني» وبعبارة أخرى أن يحتل التأويل محل المعالجة والتحليل أن تطغى الذاتية على المقاربة الموضوعية. درءا لهذا الموقف كاد الاتفاق أن يقع على عبارات أخرى مثل «الدين والسياسة» أو «الدين والدنيا» أو «الدينية والدنيوية» انها عبارات لا تفي بالغرض الصريح من المحور، والذي يمكن أن نصوغه في التساؤلات التالية:

- كيف يمكن أن نراجع العلاقة السياسية بين الدين والمشروع الحضاري القومي بحيث لا يحتكر مجموع عناصر المشروع التاريخية والجغرافية والحضارية؟

- وبالتالي كيف يمكن أن يرفع التناقض الذي يحاول البعض أن يعمقه بين التوجه الديني والتوجه القومي في صفوف الأمة العربية؟

- هل الدين كاف لقيام دولة الوحدة التي هي أكثر تماسكا من تضامن دول وأعراق يجمعها الدين الواحد؟»

المشروع إذن يبحث عن صيغة مناسبة للتزاوج مع الفكر الديني. فهو في حاجة إلى الدين ليساعده على الخروج من العزلة التي وقع فيها، أو على الأقل ليتنحى من طريقه، ولكنه في المقابل يخشى من احتواء وهيمنة الدين على كل المشروع. ولذلك شكك في قدرة الدين بمفرده على تحقيق ما يهدف إليه المشروع القومي من بناء «دولة الوحدة القومية»

ولكن هذا الطرح يفتقد الثقة بالنفس لذا نراه يدافع عن نفسه:

«لا يعني هذا أبدا أن المشروع الحضاري القومي يخطط لدولة تهمش الدين أو تقلل من قيمته بل بالعكس إن الدين هو القاعدة، هو الأرضية التربوية لمجتمع الوحدة المتكامل العناصر».

ولعل هذا الاعتراف أو التنازل أيضا جاء نتيجة للعجز عن تنحية المعتقد الديني «لأن المعتقد الراسخ في عمق الفرد، ينسج ذاتيته، ويمثل قدره، إنه الطبيعة التي لا مفر منها».

ولكن ما هو الحيز الذي ينبغي أن يخصص له؟

«وعلى الفرد أن يرسخ الاعتقاد به في نفسه وعائلته وعشيرته وأمته، ولكن عند ما يتعلق الأمر ببناء الدولة فإن النظرة إلى الدين لا تعدو اعتباره كصمام أمان.».

ولماذا هذا التجزيىء وإبعاد الدين عن الدولة؟ أهو حرص على الدولة؟ أم خوف على الدين؟

«والايساء لجوهر الدين القائم على المطلقية العقيدية لا النسبية السياسية، على الثبات الخلقي لا التغير المصلحي والمنفعي المرتبط بشؤون الدنيا أي شؤون المعرفة والعلم والمادة» وتأكيدا لهذا الاتجاه وتطمينا للقارىء يقول المشروع:

«احتراس آخر ضروري ان «تجدد الفكر الديني» المؤمل لا يعني السقوط في حبائل «العلمانية» فهذا مفهوم غريب عن العقل والتاريخ العربيين» هذا ارتباك يقع فيه أصحاب هذا الطرح كيف يسمون إذن هذا الطرح؟

«الدعوة ليست دعوة فصل..» الدعوة دعوة اجتهاد حقيقي في طرح القضايا المصيرية المرتبطة بتطور العصر والأمم والنظريات والانسان» إنه إذن ليس طلاقا، بل هو زواج، ولكنه زواج مشروط.. زواج تمليه المصلحة وتقتضيه الظروف...

إن أصحاب هذا الطرح لا يخفون ارتباكهم وصعوبة موقفهم بل يصرحون به: «هذه هي الخلفية النظرية المعقدة (...) التي كانت وراء اختيار محور «تجدد الفكر الديني»...»

ويصرحون أخيرا بالهدف الحقيقي من هذا الزواج

المشروط «الاحتفاظ للدين بمكانه الروحي والأخلاقي والتربوي يجنبنا الفرقة العقيدية، ليترك المجال للعمل السياسي والثقافي كي يناضل من أجل «دولة الوحدة» التي بها يكتسب العرب حجمهم الحقيقي في كيان يقوى على مواجهة الكيانات العملاقة التي سيفرزها القرن الواحد والعشرون».

★ وبعث إلينا الأخ العربي محمد من سلا بمقالة تحت عنوان «نحو دراسة موضوعية لقضية المرأة» نقتطف منها مايلي:

«بدافع البعض بشدة عن وضعية المرأة الحالية ليثبت أن الاسلام كرم المرأة، وشرفها، عوض أن يدرس بموضوعية تامة حالة المرأة المسلمة التي أصبحت تعامل كما كانت تعامل في الجاهلية الأولى»

ويقول أيضا: «إن الهروب من معاينة الواقع وعدم دراسة ما هو اصيل وما هو دخيل في عالم المرأة والأسرة وعدم إزالة كل التقاليد والخرافات التي علقت في أذهان المسلمين ابتداء من عصر الانحطاط إلى اليوم ستترك أعداء هذا الدين دائما يستميلون المرأة إليهم، وبذلك يتم لهم ما يشاءون من تمرير مخططات التمييع والافساد، وتفتيت شمل الأسرة المسلمة بدعوى «المساواة والحرية» واخراج المرأة من الاضطهاد والكبت والجهل إلى آخر معزوفة اليساريين واللبراليين على حد سواء...».

★ وبعث إلينا أحد القراء الكرام بترجمة مع صورة أصلية لصفحتين من كتاب بالفرنسية تتحدث حول العلاقة بين اليهود والماركسية، هذا نص الترجمة:

«إن اليهودي الذي بُعثر في كل أنحاء الأرض لم يعد يرى في ذلك سببا من أسباب ضعفه وخذلانه، بل إن هذه الحالة تذكى فيه بالعكس الوعي بعظمته وقوته، حتى إنه ليخيل إليه اليوم أنه يمشي بخطى عملاقة وأنه يملأ الفضاء والأزمنة بمذاهبه الصالحة المصلحة (.) وان ساعة سلطانه على الكون قد دقت وإليك مقتطفا مما كتبه كارل ماركس حسب ما أورده في كتابه القيم السيد ديفريس دوهيكلا بحن: يقول ماركس في كتابه لباروح ليفي: «سيصبح أبناء إسرائيل بوجودهم في جميع نقط الكرة الأرضية، القادة بلا منازع في كل مكان، خصوصا إذا ما استطاعوا لمدة غير قصيرة فرض بعضهم على رأس الجماهير الكادحة، وبانتصار هذه الجماهير ستصبح في أيد إسرائيلية كل الأمم والحكومات في ظل الجمهورية العالمية، وسيسهل على سلالة يهودا الاستيلاء على الثروات العمومية بعد ما يتمكن اليهود من الغاء الملكية الخاصة، وهكذا بقرب بعث عيسى على الأرض سيكون قد تحقق الوعد «التلموذي» وسيكون اليهود قد قبضوا على مفاتيح خيرات شعوب الأرض كلها».

فليتبين القارىء الكريم عبر هذه الفقرات فكر كارل ماركس في عمقه ومراميه حتى لا يبقى له شك في المطامع الامبريالية التي تحتضنها الأفكار الثورية اليهودية، وإذا كان لكارل ماركس مثل هذه الأطماع، فإن اخاه في الدم بنيمين ديزرائلى هو الآخر يتغنى في كتابه كنينسباي بمزايا الشعب المختار.

★ أما الأخ عبد الله المتوكل من خريبكة فقد كتب مشجعا المجلة، ومنتظرا المزيد من الدراسات العلمية خاصة من أمثال المهندس محمد بريش.

★ أما الأخ آدم حسيك من السينغال فقد كتب يطلب المشاركة في المجلة مع فتح صدر المجلة لتقبل أفكاره، نرحب بالأخ الكريم مشاركا وكاتبا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإلى اللقاء في الأعداد المقبلة إن شاء الله.

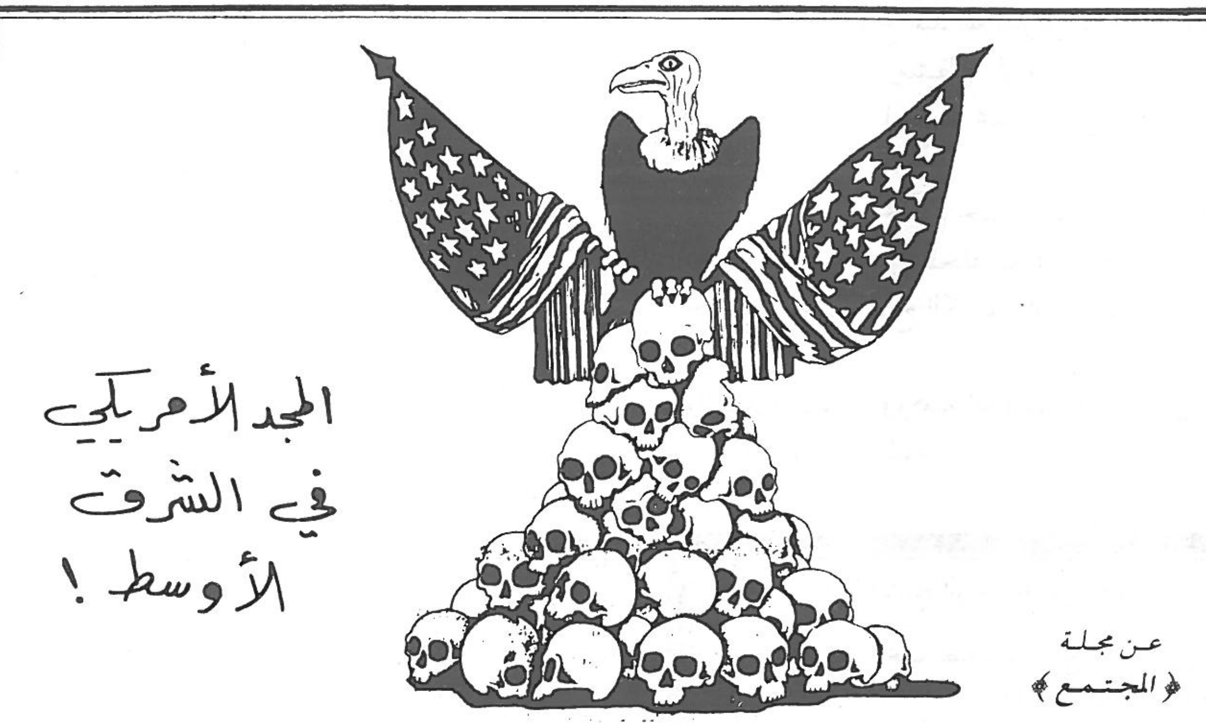
وفاة الشيخ الزبير الحسني رحمه الله

علمنا والمجلة تحت الطبع بوفاة الشيخ الزبير الحسني أحد كبار علماء المغرب ودعاته المخلصين، عضو المجلس العلمي لولاية الدار البيضاء الكبرى وقاض بالمجلس الأعلى للقضاء الذي وافته المنية يوم الثلاثاء 12 ربيع الثاني 1406هـ موافق 24 دجنبر 1985. نسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تأملات كاريكاتيرية



عن جريدة « المسلمون »



عن مجلة
« المجتمع »

في الأسواق

منشورات الجمعية الاسلامية بالقصر الكبير

منشورات الجمعية الإسلامية

-1-

الدّعوة الإسلامية... لماذا؟

الناشر :

مكتبة أسامة بن زيد

الرباط

الدَّعوَة الإِسلامية . . . لِماذا؟

- تشتد الحاجة اليوم إلى الوضوح الكامل في أمر الدعوة الاسلامية وبواعثها وأهدافها.

- يحتاج إلى هذا أولا، القائمون بها، والسائرون في طريقها، حتى يكونوا على بصيرة، وعلى علم يعصمهم من سوء الفهم الذي قد يؤدي إلى الجنوح والانحراف، أو إلى الغموض والتخبط، أو إلى التقصير والتفريط.

- ويحتاج إلى هذا الوضوح عامة المسلمين، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، وحتى يعرفوا جيدا، ما فرضه الله عليهم، وما يريده منهم.

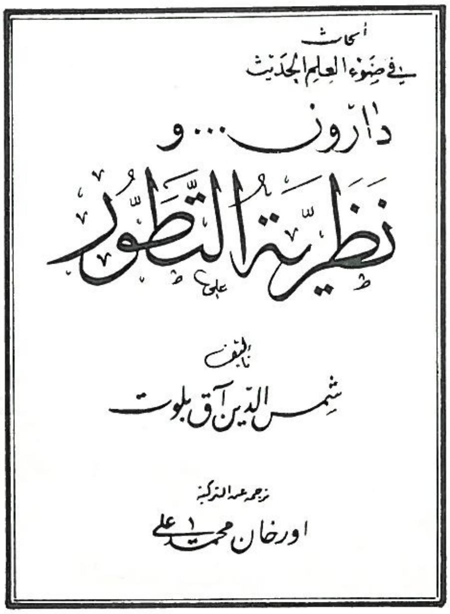
- ويحتاج إلى هذا الإيضاح كل مرتاب في أمر الدعوة الاسلامية، يتساءل حول أغراضها ودوافع أهلها، ويتشكك، أو يشكك في النوايا والمقاصد.

- لأجل هذا وذاك، نقدم هذا الكتيب، الذي يجيب ويبين، ويحاول أن يرفع كل جهل أو غموض يمكن أن يلف قضية المسلمين الكبرى، قضية تجديد أمر الاسلام، وتجديد حياتهم على هديه وشريعته.

الجمعية الاسلامية

المحتويات

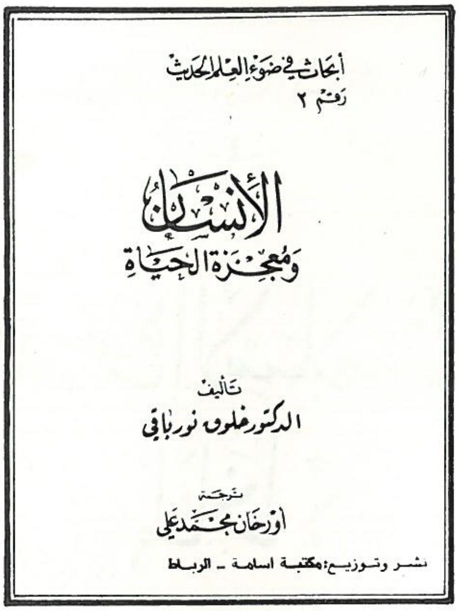
من منشورات
مكتبة أسامة بن زيد



دارون . . . ونظرية التطور

- اعترافات دارون والتطوريين المحدثين .
- الأسس الثلاثة لنظرية التطور .
  - الصدفـة .
  - الانتخاب الطبيعـي .
  - الطفـرة .
- الصدف والطفرات في ضوء قوانين الاحتمالات وحساباتها .
- الأرقام التي لا يسعها الكون .
- قصة الجمجمة المزورة التي خدعت علماء التطور أربعين عاما .
- كيف؟ ولِمَ تُلتزم نظرية التطور؟ ومن قِبل مَن؟ .
- الحقائق التي تعجز نظرية التطور عن تفسيرها .
- مِمَّ يحرم التطوريـون؟ .

إقرأ . . . وتأمـل . . .



الإنسان ومعجزة الحياة

كتاب مؤلف للذين يفكرون . . . ويتأملون . . . ويندهشون .

تقرأ فيـه :

- الخلايا التي تتدرب على حفظ ثلاثين ألف شفرة .
- البرامج الرياضية المركوزة في الخلايا .
- كيف ترى العين الألوان السبعة؟ .
- الأنظمة الدفاعية في جسمك .
- النظام العصبي .
- الأنظمة الكمبيوترية الموجودة في جسمك .
- عامل الايمـان .